T.C.

BİNGÖL ÜNİVERSİTESİ

SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

KELAM BİLİM DALI

MUHYİDDİN ÖMER B. HIDIR EL-İSFAHÂNÎ'NİN "EL-KAVÂ'İDÜ'L-BEDRİYYE Fİ 'AKÂİDİ'L-BERİYYE" İSİMLİ ESERİNİN TAHKİK VE DEĞERLENDİRİLMESİ"

Yüksek Lisans Tezi

Hazırlayan

USAME ALI

Danışman

DOÇ. DR. ABDULNASIR SÜT

Bingöl- 2022

الجمهورية التركية

جامعة بينكول معهد العلوم الاجتماعية

قسم الكلام

القواعد البدرية في عقائد البرية تحقيق ودراسة

رسالة الماجستير

إعداد الطالب

أسامة علي

إشراف الدكتور

عبد الناصر سوت

بينكول . 2022

المحتويات

إهداء

أهدي هذا البحث إلى من كان السبب في وضع هذا الكتاب (سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام)

فإن المقصود من هذا الكتاب هو إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام.

وإلى جميع مشايخي وأساتذتي الكرام وكل من له فضل علي...

وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور: عبد الناصر سوت، الذي لم يألُ جهدًا في نصحي ومتابعتي بتوجيهاته وإرشاداته، وكذلك جميع الأساتذة في جامعة بينكول والعاملين فيها.

وإلى أهلي وأحبابي جميعًا، وأسأل الله العظيم أن يوفقنا جميعًا لخدمة دينه وأن يتقبل منا أعمالنا ويجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون حجة لنا، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

BİLİMSEL ETİK BİLDİRİMİ

Yüksek Lisans tezi olarak hazırladığım bu çalışmayı Bingöl Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsünün tez yazım kurallarına uygun olarak hazırladığımı, tezin içinde sunduğum bilgileri akademik ve etik kurallar çerçevesinde ele aldığımı ve bu çalışmada özgün olduğumu beyan ederim.

…/…/2022

İmza

Usame ALİ

ÖZET

Hiç şüpesiz İslami el yazmaları, islam geleneğini tanımamız ve öğrenmemiz bakımından oldukça önemli bir yere sahiptir. Bu çalışma İslami el yazmaları arasında önemli bir yere sahip olan "el-Kavâidü'l-Bedriyye fî Akâidi'l-Beriyye" üzerine bir edisyon kritiktir. Eser Muhiyyiddîn Ömer b. Hıdır b. Ömer el-İsfhânî eş-Şâfiî'ye aittir. Bir kelam kitabı olarak eseri öne çıkaran husus, kendi döneminde bir benzerinin olmayışı, keza nübüvvet gibi kelam bahislerinin omurgasını teşkil eden bir konuya oldukça önem atfetmiş olmasıdır. Ehli kitaba yaptığı reddiyeler, bu reddiyelerde kullandığı üslup da oldukça dikkate değerdir. Yerine göre dialog tarzı hakim olurken yerine göre de dialektik hakim olmuştur. Müellif öncelikle, semavi kitaplarda Hz. Peygamberin müjdelendiğini ispat etmeye çalışmış, hatta kitabı bu meseleyi ispat etme gayesiyle telif ettiğini belirtmiştir. Daha sonar semavi kitapların tahrifi meselesini ele almıştır. Konuyu ele alırken yerine göre tafsilata girmeden genel izahlara girmiş, yerine göre ise tafsilata girmiştir. Bu çalışmadaki temel gayemiz islam ilim mirasının bu eserini gün yüzüne çıkmasını sağlamaktır. Eserin edisyon kritiğini yaparak genel manada akademik çalışmalara katkı sağlamak, özelde ise kelam, mezhepler tarihi ve dinler tarihi üzerine çalışmalar yapanlar için bu önemli kaynağı tanıtmaktır. Bununla birlikte geçmiş ulemanın diğer milletlerle/dinle olan eleştirilerini ve bu hususta izledikleri metodu ortaya koymaktır.

Anahtar kelimeler: İslam, nübüvvet, mezhep, kelam, Yahudiler, Hıristiyanlar

ABSTRACT

Islamic manuscripts are considered of highly importance among other resources through which readers come to know about the tremendous Islamic heritage. Our former scholars have left us with a huge amount of manuscripts in various kinds of sciences, which need to be taken out of the shelves of oblivion in libraries and preserved from the factors of damage and neglect, and this is the realization of an important manuscript called:"Al Qua'ed al-Badriya fî A'qa'ed al-Bareya' by Al Imam Muhyī ad-Dīn Omer ibn Khider Ibn Omer al-Isfahani al-Shafi'i. May Allah be pleased with him. Because it is interested in the door of prophecies, which is one of the sections of the Islamic faith. As well as the method of the author in the dialogue of the People of the Book and others he mentioned in his book, sometimes you find him kindening them, and sometimes discussing in a mental manner that refutes them in it, and his approach in this book was that he first expanded to rely on texts that contain the proclamations of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) in the divine books. He has elaborated on this subject a lot and has stated that he has classified this book for this purpose, and secondly he has proved the distortion and alteration that occurred in the books of the People of the Book, and it is noted that it may beautify speech and inference in places, and elaborate in other places, and the aim of this letter was to show some of the heritage of our Islamic nation and loyalty to our scholars who struggled day and night in order to preserve this religion and defend its menstruation .

Keywords: Islam, Prophet hood, Sects, Opinions, Jews, Christians

الملخص

المخطوطات الإسلامية من أهم المصادر التي نتعرف من خلالها على تراثنا الإسلامي العظيم، وهذا تحقيق لمخطوط مهم اسمه: "القواعد البدرية في عقائد البرية" تأليف الإمام محيي الدين عمر بن خضـــر بن عمر الأصفهاني الشافعي رحمه الله تعالى، وإنّ أهمية الكتاب تأتي من كونه فريدًا في بابه خصوصًا في وقته الذي كتبه فيه فهو يهتم في باب النبوات أحد أقسام العقيدة الإسلامية، وكذلك منهج المصنف في محاورة أهل الكتاب وغيرهم ممن ذكرهم في كتابه، تارةً تجده يتلطف بهم، وتارةً يناقشــهم بأســلوب عقلي يدحضــهم فيه، نجد المؤلف في هذا الكتاب توسّع أولًا في الاعتماد على النصوص التي فيها بشارات بالنبي ﷺ، في الكتب الإلهية وقد فصّـل في هذا الموضـوع كثيرًا وقد صـرّح بأنه صـنّف هذا الكتاب لأجل هذا الغرض، وثانيًا أثبت ما وقع في كتب أهل الكتاب من تحريف وتبديل، ويُلاحظ عليه أنه قد يجمل الكلام والاستدلال في مواضع، ويفصّل في مواضع أخرى، وكان الهدف من هذه الرسالة إظهار بعض من تراث أمتنا الإسلامية وإثراء المكتبة الإسلامية بكتاب مهم يحتاجه القارئ في علم العقائد والأديان.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، النبوة، الملة، الآراء، اليهود، النصارى

الاختصارات

	الاختصار	المعنى
1	ت	توفي
2	ج	جزء
3	ص	صفحة
4	ط	طبعة
5	ف	فصل
6	م	ميلادي
7	هـ	هجري
8	د. ت	دون تاريخ
9	تح	تحقيق

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، جاء بآخر الرسالات لتكون للبشرية عامة وعقيدة الناس كافة، قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون۝الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ...فالذين ءامنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾[1]

﴿ربنا ءامنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾[2]

وبعد:

فإنّ علم العقائد من أشرف العلوم ولهذا العلم ثلاثة مباحث إلهيات ونبوات وسمعيات.[3]

فالإلهيات: يتعلق بالكلام حول صفات الله تعالى وما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق ربنا عز وجل.

والنبوات: يتعلق بالكلام عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقهم عليهم السلام.

والسمعيات: يقصد بها الأمور الغيبية التي يجب أن نؤمن بها ولا تُعرف إلا من طريق الوحي الذي يوحى به إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.[4]

---

[1] الأعراف157،156

[2] آل عمران 53

[3] أضاف بعض العلماء مبحثًا رابعًا وهو الكونيات كما في كتاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (**كبرى اليقينيات الكونية**).

[4] تجد هذه التقسيمات الثلاث وتعاريفها في جل كتب العقيدة الإسلامية انظر: محمد بن يوسف، السنوسي ـــ **شرح العقيدة الصغرى والوسطى**، تح: أنس الشرفاوي، دار التقوى. دمشق، ط: الأولى، 2019م، ص 233.

وهذا مخطوط من تصنيف الإمام محيي الدين عمر بن خضر بن عمر الأصفهاني الشافعي (ت 722 هـ)

يدخل ضـــمن القســـم الثاني من مباحث التوحيد وهي تتعلق بالنبوات وتحديدًا فيما يتعلق بإثبات نبوة سـيدنا محمد ﷺ، وذلك من كتب اليهود والنصـارى والكتب الأخرى، وذلك إما بذكر البشـارات بالنبي ﷺ من الآيات الموجودة في كتبهم أو أقوال أنبيائهم المذكورة فيها، أو بيان تحريف كتبهم وتناقضـــها في بعض المواضـع، والرد على المســتبدين من الفلاسـفة، فهذ المخطوط يعتبر من النوادر في بابه ولكن لم يُكتب له الاهتمام والانتشـــار على الرغم من أهميته وتوثيقه لنصـــوص أهل الكتاب في بشـــاراتها بنبي الإسلام ﷺ، ومحاورتهم بأسلوب مقنع والسبب في ذلك (عدم انتشاره) قد يعود لعدم شهرة مؤلفه أو قلة من ترجم له مما يجعله في طي النسيان، ولم أجد من ترجم للمؤلف أو لكتبه ترجمة كافية سوى بعض إشارات إليه من هنا وهناك.

وقد قسمت الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: وهو قسم الدراسة ويشمل مدخل الدراسة والهدف منها ومنهج العمل فيها، والأسباب التي دعتني لاختيار هذا الكتاب، ثم تحدثت عن محتوى المخطوط والتعريف بالمؤلف وعصــره الذي عاش فيه، والتصانيف التي كتبها.

القسم الثاني: النص المحقق ويشمل المخطوط.

مدخل

هذا الكتاب لعالم عاش بين القرنين الســـابع والثامن للهجرة تدل مؤلفاته على مخالطته لأهل الكتاب ومناقشـــة عقائدهم كانت جل كتاباته، يقول عن أهل زمانه من اليهود والنصـــارى: كثير من اليهود

والنصـــارى بل كلهم يعتقدون أن المســـلمين لم يعلموا ما هم عليه، ورأيتهم يقولون: إن أخبار القرآن لا توافق أخبار التوراة، والتوراة كتاب حق منزل بالاتفاق، فالخلل في القرآن[5].

وقال في موضع آخر أن كثيرا من هؤلاء كانوا يظهرون الإسلام رغبة في الرياسة أو رهبة من السياسة، ولم تزل قلوبهم معقودة على ما نشؤوا عليه من إيمانهم القديم[6].

ولذلك نجد المؤلف اعتنى بالبحث والكشف عن البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في نصوص أهل الكتاب من اليهود والنصـــارى وغيرهم، من باب اســـتمالتهم وإقامة الحجة عليهم، لذلك نراه يلين لهم القول في بعض المواضع، واشتد عليهم بمواضع أخرى ويقيم عليهم الحجج، ويظهر سخف قولهم وتناقضه.

الهدف من هذه الدراسة

- التعريف بهذا المخطوط وإظهاره بعد أن كان منسيًّا لقرون.
- الاطلاع على ما حواه من مادة علمية تخدم الباحث في هذا العلم (علم الكلام)، من خلال معرفة منهج المؤلف فيه، وما يذكره من حجج وأدلة عقلية ونقلية.
- الاستفادة من أسلوب المؤلف في إثبات صدق نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنها خاتمة النبوات وعامة لجميع الأمم وبيان ذلك من خلال نصوص وبشارات بالنبي محمد عليه الصلاة والســـلام مذكورة في كتب اليهود والنصـــارى والملل الســـابقة، وإظهار تناقض أقوالهم وتحريفاتهم لبعض هذه النصوص.
- دراســـة تراث علمائنا والتعرّف على منهجيتهم في الرد على المخالفين من أهل الأديان الأخرى والفلاســـفة وكذلك لما في هذا المخطوط من أهمية في إظهار جانب من محاوراتهم مع أهل الملل الأخرى وإظهار الحق واضحًا وبأسلوب واضح مقنع لذوي العقول السليمة
- إحياء ذكر عَلَم من علماء الأمة ورجل من رجالاتها بعد أن كان منسيًّا لقرون ...

---

[5] انظر الأصل الثالث من هذا الكتاب ص:139

[6] انظر خطبة النسخة (ق) من هذا الكتاب ص: 55

عملي في تحقيق الكتاب

بعد البحث الحثيث في فهارس المكتبات العامة والخاصة لم يتوفر لدي سوى نسختين خطيتين، إحداهما رمزت لها (ب) والأظهر أنها مكتوبة بخط المؤلف جعلتها هي الأصل، وأخرى منسوخة عنها مع وجود فروقات يسيرة

ثم مشيت بعد ذلك على خُطاً علمية في كافة مراحل تحقيقي لهذا الكتاب وخصوصًا أنه لم يرَ النور قبل ذلك ولم يبرز لعالم الطباعة، بل كان حبيس قرون متطاولة زادت على السبعة.

وأهم المراحل والخطوات التي اتبعتها في تحقيقه تجلّت في الآتي:

- نسخ الكتاب ثم مقابلته على المخطوطتين مقابلة (ب) و (ق) مقابلة متأنّية.
- حل فروق النسختين بعد التحقق منها، من خلال الرجوع إلى النسختين مرة ثانية وتقليب النظر فيهما، وغالب الفروق من النسخة (ق).
- اعتمدت النسخة (ب) هي الأصل لأنها أقدم وخطها واضح وتخلو من السقطات.
- لم أثبت الفروق الواقعة بسبب الاختلاف في أسلوب الكتابة القديم والحديث كتسهيل الهمزة وأشرت إلى ذلك في موضعين أو ثلاثة...
- اعتمدت على القواعد الإملائية الحديثة في تصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية أو التحريفات والتصحيفات في حال وجودها مع الإشارة إلى ذلك في الحاشية.
- ضبطت بالشكل ما قد يُشكِل قراءته بدون وضع علامات الإعراب (إنما يُشكَلُ ما يُشكِل).
- وضّحت النص بما يتطلبه الخط العربي من علامات الترقيم والتنقيط ...
- عنونت جميع الفصول والتنبيهات الواردة في الكتاب.
- قمت بتوثيق الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في الهامش.

- قمت بتخريج الأحاديث الواردة بالعزو إلى أمَّات المصادر والمراجع المعتمدة مع ذكر رقم الحديث وبابه.
- ذكرت بعض مصـادر النصـوص الواردة في الكتاب من الإنجيل أو الزبور أو غيره من كتب الديانات الأخرى بذكر اسم الكتاب ورقم الإصحاح أو الآية.
- شرح الكلمات الغامضة والعبارات الموهمة.
- عرّفت ببعض الفرق والطوائف الشخصيات الواردة أسماؤها في الكتاب.
- إثراء الكتاب ببعض التعليقات العلمية المهمة على بعض العبارات التي تتطلب بيان وتوضيح.
- تذييل الكتاب بفهرس عام لمحتوى الكتاب.
- اعتمدتُّ على دليل كتابة رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعة بينكول.

التعريف بالمخطوط

1. النسخة الأولى: القواعد البدرية في عقائد البرية

رمزت له بالحرف (ب) وقد جعلته الأصل لسهولة خطه ووضوحه وهي الأقدم.

يعود المخطوط لمكتبة جامعة ليدن . هولندة.

رقم المخطوط: 1037

عدد الأسطر: 11 سطرًا.

عدد اللوحات: 99 لوحة.

مكتوب بخط نسخ واضح ومشكول، العناوين مكتوبة بالحبر الأحمر.

مكتوب على غلافه بخط المصنف والغالب هو كذلك لقوله: تأليف الفقير إلى الله تعالى عمر بن خضر بن عمر الأصفهاني حامدًا لله تعالى ومصلّيًا على رسوله ومسلّما، بدون استعمال ألقاب المدح والتعظيم التي نراها حين يكون الناسخ غير المؤلف.

2. النسخة الثانية: دقائق النظر في حقائق البشر

رمزت له بالحرف (ق).

يعود المخطوط لمكتبة كوبريلي في إسطنبول، مجموعة فاضل أحمد باشا.

رقم المخطوط: 813

عدد الأسطر: 13 سطرًا.

عدد اللوحات: 71 لوحة.

مكتوب بخط نسخ مشكول، وكُتبت بخط عريض العناوين والفصول وبعض الأسئلة والاستشكالات وأجوبتها وكذلك غالب المواضع المذكور فيها اسم النبي ﷺ.

في هذا المخطوط سقط يسير في بعض العبارات.

دراسات حول هذا الكتاب

لم أجد إلى الآن بحسب اطلاعي وبحثي دراسة أو تحقيق أفردت هذا المخطوط بكتاب مستقل،

ويوجد كتب مشابهة لهذا الكتاب من حيث الاستدلال ببشارات موجودة في كتب أهل الكتاب ككتاب نبوّة محمد ﷺ، من الشك إلى اليقين تأليف الدكتور فاضل صالح السامرائي

وكذلك كتاب البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل لأحمد حجازي السقا

نظرة عامة للكتاب

القواعد البدرية في عقائد البرية ودقائق النظر في حقائق البشر.

مخطوطتان لكل منهما اسمه الخاص وخطبته الخاصـــة والحقيقة أنّ المتنين بمثابة متن واحد مع اختلافات يسيرة جدًّا تكاد تكون معدومة بعد الخطبتين.

وقد ذكر المؤلف في خطبة كل منهما سبب تأليفه لكتابه.

والكتاب يتألف من مقدمة وثمانية أصـول، وقد اسـتفاض المؤلف في الكلام على الأصـول الثلاثة الأولى وهي الإسلام، والملة النصرانية، واليهود واختصر في غيرها.

ذكر المؤلف فيها الإشارات التي بشّرت ببعثة النبي ﷺ، في الكتب الإلهية وأطال الكلام في هذا الموضوع وهذا هدفه من كتابه هذا كما ذكر في مقدمته.

وذكر فيها أيضًا ما وقع من التحريف والتغيير في كتب اليهود والنصارى والملل الأخرى.

أسباب اختيار الكتاب

دفعني لاختيار تحقيق هذا الكتاب عدة أسباب منها:

- الجانب العلمي: فإن للكتاب قيمة علمية جلية تظهر من خلال موضـوعاته الهامة وقوة حججه وبسطه الأدلة من كتب الخصوم.
- الجانب التاريخي: يأخذ الكتاب قيمته التاريخية فهو يعتبر تراث فكري وعقدي لهذه الأمة وكذلك ندرة الكتب المصنفة في موضوعه لا سيما في ذلك الوقت الذي أُلِّف فيه.
- موضـوعه الهام في الجانب العقدي وهو إثبات نبوة نبينا محمد صـلى الله عليه وسـلم وأنها خاتمة الرسالات وعامة للبشر وناسخة لما قبلها.

- مناســـبة موضـــوعه لزمننا هذا الذي كثرت فيه الشـــبهات والاتجاهات المنحرفة وظهور بعض الجماعات التي تنادي بوحدة الأديان، وإزالة الفوارق الدينية بين جميع الأديان والملل وتوحيد المعتقدات وهذا ما يتناقض تمامًا مع ثوابتنا الدينية.
- بعد أن اطلعت على الكتاب وعلى حياة مؤلفه وجهوده في الدفاع عن ديننا الإســـلامي أمام شـــبهات اليهود والنصـــارى وباقي الملل الأخرى رأيت من واجبي تجاهه التعريف بهذا الكتاب ومؤلفه الذي لا يُعرف عنه إلا القليل النادر.

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف وحياته

لم يذكر من ترجم للأصفهاني سنة مولده أو حتى علامات تشير إليه، ولا شيء عن شيوخه أو تلامذته، فهو عالم لم يُكتب لاسمه أن يشـــتهر بين الناس ولا لكتبه أن تنتشـــر بين العلماء، قد أغفلت ذكره كتب التراجم والطبقات سـوى بعض إشـارات إليه كما في كشـف الظنون لحاجي خليفة[7]، وتكاد لا تجد له ذكرًا فيها، إلا ما ذكره عنه بعض معاصـــريه كما في كتاب (ذيل طبقات الفقهاء الشـــافعيين) للحافظ عفيف الدين المطري العبادي المتوفى سنة 765هـ قال فيه[8]:

(عمر بن الخضـر بن عبد الله الأصـفهاني الفقيه الشـافعي الأصـولي المتكلم البارع الأوحد الصـوفي الإمام محي الدين أبو حفص كان إمامًا بارعًا أصـوليًّا فاضـلًا متكلمًا عارفًا بالعربية وفنون عديدة وله مصـنفات.

---

(7) مصطفى بن عبدالله، حاجي خليفة ـــ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ت: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ج:2، ص1357.

(8)عفيف الدين المطري، العبادي، **ذيل طبقات الفقهاء الشـافعيين**، تح: الدكتور أحمد عمر هاشـم، محمد زينهم محمد عزب، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص 231.

وكانت له مباحث مع الشيخ تقي الدين بن تيمية وحضره جماعة من الفضلاء عند موته فقال لهم هذه حالة يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر.

وكانت وفاته في 3 جمادى الآخرة من سنة 722هـ بالقاهرة وكان شيخًا بالخانقاه التي بالروضة في المكان المعروف بالمشتهى ورثاه بعض تلامذته بقوله:

يقولون محي الدين مات ومالهم

بذلك من علم وليس بميت

وأنّى لمحي الدين أن يموت وإنما سَمَتْ

نفسه عن عالم البشر تقى)[9]

أما عن اسمه فهو كما قد كتبه بيده في (غلاف كتاب القواعد البدرية)[10]:

محيي الدين عمر بن خضر بن عمر الأصفهاني الشافعي.

أما عن نشأته فليس عندنا معلومات هل كان في أصفهان أم هي في مصر أو الشام وهل نسبته هي نسبة جاءته من بعض أجداده، خصوصًا وأن الكثير من مشايخ أصفهان قد رحلوا إلى مصر والشام بعد هجمات المغول واستيلائهم على أصفهان.

---

[9] إلى هنا انتهت ترجمته بنصها من كتاب الحافظ عفيف الدين المطري، العبادي، **ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين،** تح: الدكتور أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص232.

[10] انظر الصفحة 46 من هذا الكتاب.

كان الأصفهاني شافعي المذهب، أشعري الاعتقاد يثبت الصفات، ويفر من التجسيم والتشبيه ويتأول بعضها كصفة النزول والمجيء على غير معنى النقلة[11]، وينفي التحسين والتقبيح العقليين، ويأبى أن يجب على الله شيء في الجملة، وعلى الخصوص رعاية الأصلح التي يراها تؤول إلى جعله تعالى، موجبا لا فاعلًا مختارًا، وهو يرد على المعتزلة في موضع من كتابه «تعجيز المستعجز»[12]، ويجعلهم مع «الجهمية» من جملة المبتدعة في موضع من «القواعد البدرية»[13].

ومن مؤلفات الشيخ يظهر أن أغلب اهتمامه كان منصرفًا إلى مجادلة أهل الكتاب والمستبدين من الفلاسفة، وفي مواضع قليلة يجادل الفرق الكلامية الإسلامية كما ناقش المعتزلة في بعض مسائلهم، وكانت له مباحث مع معاصره ابن تيمية كما ذُكر في ترجمته، والغالب أنها من الجدل التيمي الأشعري، ولابن تيمية رسالة أسماها (في جواب محيي الدين الأصفهاني)

فالشيخ من أتباع المدرسة الأشعرية المتأخرة التي كانت لها السيادة على جميع المذاهب السنية في ذلك الوقت وقد كان أبرز علماء المدرسة الأشعرية في تلك الفترة قد درسوا الفلسفة وخلطوها بالمسائل الكلامية وأول من بدأ بهذه الطريقة بشكل ظاهر الإمام فخر الدين الرازي (ت:606هـ) ومن قبله الإمام الغزالي (ت: 505هـ) وغيرهما [14].

---

[11] يظهر هذا جليًّا في الأصل الثالث، الفصل الثالث من هذا الكتاب عند كلامه عن اليهود فيما قالوا في الله وفي أنبيائه وردّه عليهم بأنهم أصل التجسيم والتشبيه ومنهم انتشر في الأمم.

[12] مخطوط محفوظ في مكتبة حضرة شيخ الإسلام فيض الله أفندي رحمه الله برقم: 1181، ضمن المكتبة الوطنية أثنى في مقدمة هذا الكتاب على الخصوص الإمام الغزالي، والفخر الرازي، كما ستجد بعض آراءه في هذه الموضوعات في ثنايا هذا الكتاب...

[13] ذكر هذا في خطبة كتابه القواعد البدرية ص36

[14] محمد بن أحمد، محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، تحقيق: عبدالحليم إبراهيم، دار الفكر العربي ــ القاهرة، 2009م، ص:179

وكون الأصفهاني من أبناء هذه المدرسة فقد كان لديه المعرفة التامة بكتب المتكلمين وما كتبوه في الرد على الفلاسفة مثل كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي وكذلك كتب الفخر الرازي، وقد ذكرهما في مقدمة كتابه تعجيز المستعجز، وقرأ كذلك كتب ابن سينا وغيره، ومما يدل على تبحّره في الفلسفة والكلام قوله في تقديمه لكتابه تعجيز المستعجز في الصفحة الأولى منه: أما بعد فإني لما نظرت في قواعد الفلاسفة وعقائدهم، رأيت الخطأ فيها أكثر من الصواب، والسؤال عليها أظهر من الجواب، وقد بحثت معهم في غامض علومهم، والمشكل من فنونهم إجمالًا وتفصيلًا، والحكم بيني وبينهم البرهان وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان[15].

ويظهر كذلك أن الإمام الأصفهاني قد جمع بين الكلام والتصوف كما هو شأن غالب علماء الأشاعرة. يبدو ذلك واضحًا من خلال ترجمته التي وصفته بالفقيه الشافعي الأصولي المتكلم البارع الأوحد الصوفي[16] وأيضًا ما ذُكر عنه فيها أنه كان شيخًا في الخانقاه بالروضة، وكذلك ما وصفه به ناسخ كتاب دقائق النظر في حقائق البشر[17]، وصفه: بالإمام العالم الزاهد، وقوله عن نفسه بخطّه في مقدمة كتابه القواعد البدرية[18] تأليف الفقير إلى الله تعالى عمر بن خضر بن عمر الأصفهاني، وهذه الألفاظ والألقاب كثيرًا ما تكون متداولة ومشتهرة عند الصوفية، أما عن كتبه فلم أعثر فيها على ما يشير إلى شيء من التصوف بشكل واضح.

---

(15) مقدمة مخطوط **تعجيز المستعجز** للمؤلف نفسه.

(16) انظر ترجمته عند الحافظ عفيف الدين المطري، العبادي، **ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين**، تح: الدكتور أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، ط: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص231

(17) كما هو مكتوب على غلاف **كتاب دقائق النظر**، ص 49 من كتابنا هذا.

(18) تجد ذلك في غلاف كتاب **القواعد البدرية** انظر الصفحة 46 من كتابنا هذا.

وإلى جانب كونه متكلمًا أشعريًّا صوفيًّا فقد كان فقيهًا شافعيًّا كما ذُكر في ترجمته وأصوليًّا فاضلًا، وكان كذلك عالمِا عارفًا بالعربية وفنون عديدة وقد نُسبت إليه رسالة في البلاغة[19].

المبحث الثاني: عصره

من الناحية السياسية والحضارية وأثر ذلك في المؤلف والعلماء في ذلك العصر:

سأكتب باختصار الأحداث والأمراء الذين كان لهم وجود قبل الأصفهاني بقليل وسايروا حياته إلى ما بعد وفاته.

إن الفترة التي عاش فيها الأصفهاني وما قبل ولادته بقليل وهي من منتصف القرن السادس الهجري إلى العقدين الأولين من القرن السابع الهجري تتصف هذه الفترة بكثرة الخلافات والفوضى وحالات الاضطراب وذلك لأن الأسرة الأيوبية الحاكمة في ذلك الوقت قد فقدت قوتها وهيبتها، خصوصًا بعد موت الملك العادل سنة 615هـ، وهو الذي كان قد أعاد مملكة أخيه الملك صلاح الدين بعد أن تجزأت وتقاسمها أبناؤه وإخوته، وقد عادت الفوضى والانقسامات من جديد إلى الأيوبيين بعد وفاته وكان الصليبيون قد انتهزوا هذه الفرصة من التفرق والضعف للإغارة على أجزاء من البلاد الإسلامية في مصر والشام[20]، وللأسف فقد عم البلاء وتعلّق الكثير من الأمراء والسلاطين بعروشهم، فأصبح لا همّ لهم إلا تثبيتها ولو على حساب دينهم وأمتهم، وكثيرا ما وجدنا في تلك الفترة من السلاطين من يتعاون مع

---

[19] وهي أساس البلاغة وقاعدة الفصاحة، ذكرها إسماعيل باشا، البابابي. **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،** طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنة1951م، ج: 1، ص796

[20] إسماعيل بن عمر الدمشقي، ابن كثير، **البداية والنهاية،** تح: د. رياض عبدالحميد ومحمد عبيد، ط: خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر،2015، أحداث سنة647هـ، ج: 15، ص: 269.

الصليبيين لقتل أحد إخوته من الأمراء لينفرد بالحكم بدون منافس كما فعل الملك الكامل في مصر الذي طلب من الإمبراطور فريدريك الثاني ملك الصـــليبيين اغتيال أخيه الملك المعظم وإخراج دمشـــق من سلطانه، فتم ذلك ورجع فريدريك إلى فلسطين وسيطر على القدس وما حولها...

لقد كانت البلاد في هذه الفترة على هذا الحال لعقود وكان آخر الملوك الايوبيين الملك طوران شـاه ابن الملك الصـالح أيوب وكان قد تولى الملك سـنة 647هـ بعد أن مات أبوه وهو ببلاد الشـام[21] فلما علم بوفاته قدم إلى المنصـورة حيث كانت ترابط الجيوش المصـرية وجاء الصـليبيون يريدون الصـلح وفداء الملك لويس، فقبل طوران شـــاه بفدائه مقابل مبلغ كبير من الذهب، مما أثار غضـــب الأمراء المماليك لفعلته هذه فثاروا عليه وقتلوه في سنة 648هـ، ثم اختلفوا فيمن يولّونه واتفقوا على تولية شـجرة الدر. لكن الخليفة في بغداد لم يرق له هذا الأمر وبدأت فكرة الملك تخامر نفوس بعض كبار المماليك والبعض منهم يريد تولية بقايا الأيوبيين، مما اضـطر شـجرة الدر أن تتزوج عز الدين أيبك وتتنازل له عن العرش وهو قد ولّى أحد الأمراء الأيوبيين على أن يكون أيبك أتابكًا للملكة، (أمير العســـكر)، وفي الحقيقة لم يكن الحكم لا لهذا ولا لذاك بل لشـــجرة الدر، وهكذا تتابع الأمراء المماليك وكل منهم يرغب في العرش على أن هذه المرحلة تخلو من أمير صـالح شـجاع يعمل لنصـرة دينه وأمته، كسيف الدين قطز الذي قاتل المغول في معركة عين جالوت وقتل قائدهم كتبغا، وكبّد المغول خســـائر فادحة وكان نصـــرًا عظيمًا، على أن فرحة النصـــر لم تدم طويلًا بالنســـبة لقطز، فقد تآمر عليه بعض مماليكه وقتلوه وهو في طريق العودة[22].

(21) انظر إسماعيل بن عمر الدمشـقي، ابن كثير، **البداية والنهاية،** تح: د. رياض عبدالحميد ومحمد عبيد، ط: خاصـة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر،2015، أحداث سنة647هـ، ج: 15، ص: 273

(22) محمد سهيل، طقوش، **تاريخ الحروب الصليبية،** دار النفائس . بيروت، 2011م، ط: الأولى، ص:654

وتولّى بعده الحكم الملك الظاهر بيبرس البندقداري(23) في الفترة 658هـ إلى 676هـ، وكان رجلًا حازمًا سار بالناس خير السيرة، أطلق سراح المسجونين من المماليك، ووزع الأموال والهدايا ورفع الظلم والضرائب عن الناس، فأحبه الناس والتفّوا حوله، وفتح باب قصره لاستماع الشكاوى وحثّ عماله في الولايات على هذه السيرة وحذّرهم من الظلم، فعمّ الخير البلاد.

وقد حاول بيبرس إعادة الخلافة العباسية(24) إلى سابق مكانتها ليقوي عرشه وليرفع من شأن مصر في العالم الإسلامي، ولما رتّب بيبرس أموره الداخلية والخارجية عزم على قتال الصليبيين الذين لا يزالون يتحكمون في بقاع من فلسطين وهاجم مدينة قيصرية وهدم أسوارها، ووجّه حملة قوية إلى أرمينية ففتح بلادها وهدم عاصمتها (سيس) ثم فيما بعد سنة 666هـ، استأنف حروبه مع بقايا الصليبيين فاستولى على يافا وأنطاكية وجهّز أسطولًا لفتح قبرص، وحارب الباطنيين الملاحدة في شمال سوريا والعراق وقضى عليهم(25)، وهكذا كانت حياة بيبرس ما بين جهاد وفتح وإصلاح ونشر الفضل والعلم وحماية الإسلام وقد امتد نفوذه من جنوبي بلاد مصر إلى أقاصي الفراتين ومن تخوم آسيا إلى ساحل البحر الأحمر وقد شيّد في ملكه وبلاده المدارس والمساجد والبيمارستانات والخوانق والربط وكانت له علاقات وطيدة مع العلماء وشجعهم ومنحهم الأعطيات.. إلى أن وافاه الأجل سنة 676هـ، وهو في طريقه إلى أنطاكية لزيارة جنده المرابطين كان قد شعر بالمرض فقصد دمشق ودفنوه فيها.(26)

---

(23) إسماعيل بن عمر الدمشقي، ابن كثير، **البداية والنهاية**، تح: د. رياض عبدالحميد ومحمد عبيد، ط: خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر،2015م، ج: 15، ص: 357.356

(24) ابن كثير، **المصدر السابق**، ج:15، ص: 379

(25) محمد سهيل، طقوش، **تاريخ الحروب الصليبية**، دار النفائس ـ بيروت، 2011م، ط: الأولى، ص:663

(26) محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، 2003م، ط: 1، ج: 15، ص: 306 ـ 308.

ولكن البلاد بعده ضعفت واستلم الحكم أمراء ليسوا بكفء وحاول المغول الزحف نحو بلاد الشام وحلب من جديد وفتكوا ببعض المدن وكذلك الصـــليبيون انتهزوا فرصـــة هجوم المغول على بعض المدن فأغاروا على بعض البلاد وفتكوا بها،

فجاء السلطان سيف الدين قلاوون الذي تولّى الحكم سنة 678هـ، على رأس جيش إلى الشام فشتت شمل المغول وقتل أميرهم، وزحف إلى الصـليبيين فأخضـعهم وكان قلاوون هذا ملكًا عادلًا شـجاعًا وطّد الأمن على سيرة بيبرس توفي سنة 685هـ، وحزن الناس لموته[27].

وتولّى الملك بعده ابنه السـلطان صـلاح الدين خليل سـنة 689هـ، وكان حازمًا قد وجّه همته نحو قتال المغول قتله أحد المماليك بضربة خنجر سنة 693هـ،

وبايعوا بعده أخاه محمد بن قلاوون ملكًا ولقبوه بالملك الناصـر وهو الذي ذكره الأصـفهاني في مقدمة كتابه تعجيز المستعجز وكان قد أهدى لقاضيه هذا الكتاب وأكثر من الدعاء له والثناء عليه...

ثم بعدها جاء من خلعه واسـتولى على الحكم وهكذا تتابع الأحداث والضـعف يسـتمر والمغول ينتهزون أي فرصة للانقضاض والهجوم على البلاد وتآمر معهم بعض الأمراء وفي سنة 698هـ ظهر أنصار الملك الناصر بن قلاوون ثم أعادوه إلى الحكم واشتد الخلاف بين بعض الأمراء، وتقدم المغول من جديد يريدون السيطرة على الشـام وكان عددهم كبيرًا جدًا والجيش المصـري قليل، وخسـر الجيش المصـري بعد أن أبلى بلاء حسنًا، ونكبت البلاد من جديد بالغزو المغولي وتهدمت مدنها واحترقت مزارعها[28].

---

[27] إسماعيل بن عمر الدمشـقي، ابن كثير، **البداية والنهاية**، تح: د. رياض عبدالحميد ومحمد عبيد، ط: خاصـة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر،2015، ج: 15، ص: 472

[28] محمد سهيل، طقوش، **تاريخ الحروب الصليبية**، دار النفائس. بيروت، 2011م، ط: الأولى، ص:590.

ومن جديد بدأ الملك الشاب الناصر بن قلاوون بجمع الجموع وسار نحو الشام والتقى بالمغول وانتصر عليهم ثم رجع إلى مصر وأخذ نجمه يعلو على الرغم من حداثة سنه وفي سنة 703هـ زحف المغول من جديد إلى الشام لكن الله نصر السلطان عليهم، ثم في سنة 708هـ حدثت فتنة في القصر بين الأمراء كاد أن يُقتل السلطان بها ثم هرب وتخلّى عن الملك مؤقتًا، وأعلن تنازله عنه، فأجمعوا أمرهم على انتخاب رجل ولقبوه بالملك المظفر... وكان رجلًا صالحًا عمل على إصلاح البلاد[29].

تحرّك فيما بعد أنصار السلطان الناصر بن قلاوون وعملوا على إقصاء المظفر ونبذوا عهده واضطروه إلى أن يخلع نفسه وبعدها دخل الملك الناصر مصر ورحبوا به وبايعوه ثانية، وبقي في الملك ثلاثًا وثلاثين سنة، وعاشت بعدها البلاد الشامية والمصرية في أمان واستقرار إلى أن كانت نكبة تيمورلنك، ومات سنة 741هـ.[30].

على الرغم من كل هذه الظروف المحيطة بالعلماء في ذلك العصر، إلا أننا نجد أن العلماء يزدادون حرصًا وحفاظًا على الدين وأهله، ولم يتوقفوا عن نشر العلم والتأليف، بل وجدنا أن الحركة العلمية قد ازدهرت في ذلك العصر، وانتشرت المدارس والحلقات العلمية، ورحل العلماء ينشرون علمهم قي أصقاع الأرض وللسياسة والسلاطين دور في هذا الازدهار العلمي، وقد مر معنا في الصفحات السابقة أن الكثير من السلاطين كانوا يشجعون العلماء ويقربونهم، ووجدنا هذا واضحًا في كتابات الشيخ محيي الدين الأصفهاني وإهدائه كتبه للأمراء والسلاطين.

---

[29] إسماعيل بن عمر الدمشقي، ابن كثير، **البداية والنهاية**، تح: د. رياض عبدالحميد ومحمد عبيد، ط: خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر،2015، ج: 16، ص: 67.

[30] ابن كثير، **المصدر السابق**، ص234. (باختصار).

من الناحية العلمية: تأثيره في الحركة العلمية في ذلك العصر:

لقد حظي العصر الذي عاش فيه الأصفهاني بحركة علمية فائقة ونشاط علمي واسع نبغ فيه الكثير من العلماء في كل فن من العلوم، دُوّنت آثارهم في مؤلفات كثيرة، لا نزال ننهل من معينها الصافي حتى يومنا هذا...

في هذا العصر نضجت العلوم واستقرت وتشكلت المصطلحات العلمية وتطورت المدارس فالمؤلفات في هذا العصر تعد من المراجع الأساسية للعلوم(31).

لقد كان الاعتقاد السائد المشهور في تاريخ العلم والدراسات أن القرن الرابع الهجري كان يمثّل قمة الذروة العلمية في الحضارة الإسلامية، ثم بعده تراجع عطاء هذه الحضارة فكانت قرون الجمود والضعف، لكن الباحث المطلع إلى القرون التي تليه سيرى تصاعدًا في الإنتاج العلمي وتنوّعًا هامًّا في العلوم، ليبلغ هذا التصاعد العلمي ذروته في القرن السابع الهجري حتى النصف الأول من القرن الثامن الهجري

وإذا ما ألقيت نظرة إلى تراجم العلماء ومؤلفاتهم في ذاك الوقت سوف ترى الكم الهائل من العلماء الذين عاشوا في هذه الفترة الزمنية والكتب الكثيرة التي أُلّفت فيها عدا المخطوطات التي لم يكتب لها الظهور إلى عصرنا هذا...

وكان العلماء والفقهاء في هذه الفترة خصوصًا في مصر والشام وما حولهما لهم مشاركة في المناصب العلمية كالوعظ والإفتاء والقضاء، وكان كثير من علماء مصر يعيّنون في الشام، وكذلك الحال بالنسبة لعلماء الشام فكان الكثير منهم يتولّى المناصب العلمية في مصر(32).

---

(31) ماجد عرسان، الكيلاني . **هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس**، دار القلم . الإمارات، الطبعة الثالثة، 2002م، ص 216.

(32) الكيلاني، **المصدر السابق**، ص 220.

كانت الرحلات كثيرة ومنتشـــرة في هذه الفترة بين البلدين الشـــام ومصـــر إلى الحجاز وغيرها من البلاد العربية وكانت الغاية من هذه الرحلات نشـر العلم والاسـتفادة من بعضـهم وليتمكن الطلبة في الأمصـار من اللقاء بهم والأخذ عنهم، والشـــواهد على ذلك كثيرة ســـردتها كتب التراجم والتاريخ كالبداية والنهاية لابن كثير والنجوم الزاهرة لابن تغري بردى[33].

ومن الأمثلة على ذلك أن الإمام نور الدين السخاوي المصري كان مدرسًا في الجامع الأموي بدمشق

وكان التبادل بين العلماء في مصر والشام أمرًا مألوفًا عندهم في ذلك العصر، ولما مات قاضي قضاة مصر ابن دقيق العيد سنة 702هـ، كتب السلطان الناصري المصري إلى ابن جماعة قاضي قضاة الشام وبعد أن حيّاه وعظّمه دعاه إلى تولّي منصـــب قاضـــي القضـــاة بمصـــر خلفًا لابن دقيق العيد رحمه الله تعالى. فاستجاب الإمام ابن جماعة لطلب السلطان وذهب إلى مصر وتولّى القضاء، وقد كان السلطان في ذلك العصر يعيّن كبار العلماء في المناصب الكبرى كشيخ الشيوخ والمفتي وقاضي القضاة وقاضي العسكر وكذلك المدرسين فقد كان التدريس واحدة من أهم وأرقى المناصب العلمية في ذلك العهد.

وكون الإمام الأصفهاني أحد علماء الكلام الأشاعرة كان لابد من بيان أن المدرسة الأشعرية منذ بدايات القرن الســـابع الهجري إلى نهايات القرن الثامن الهجري، قد تحوّل فيها بحث العقائد الكلامية من طريقة المتقدمين إلى طريقة المتأخرين[34]، وقد كان القرن الثامن الهجري يمثّل ذروة نتاج المدرســـة الأشـــعرية من حيث الضبط والصياغة المذهبية والدقة وتحقيق المسائل وتوضيحها، وكذلك ظهور مفكرين وعلماء بارزين

---

[33] يوسف بن تغرى بردى، أبي المحاسن، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، د.ت، دار الكتب المصرية. القاهرة، ص23

[34] محمد بن أحمد، محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، تحقيق: عبدالحليم إبراهيم، دار الفكر العربي ـــ القاهرة، 2009م، ص:178

كان لهم طابع وأسلوب خاص أضافوه إلى علم الكلام حتى صاروا حلقة الوصل بين من سبقهم ومن جاء بعدهم، وقد بلغت المدرسة الأشعرية في هذا العصر الذروة وصار أعلام هذا العصر وكتبهم هم الذين يُشرح كلامهم ويُعلّق عليه، بل صار عليهم المعتمد والحجة في شرح وتوضيح الآراء والأفكار الكلامية للمدرسة الأشعرية وكان من أبرز علماء الأشاعرة في هذا العصر.

على سبيل المثال لا العد، الإمام فخر الدين الرازي، والإمام ابن المعلم القرشي المصري الشافعي صاحب كتب نجم المهتدي ورجم المعتدي (رد فيه على ابن تيمية بعض المسائل)، والعز بن عبد السلام، والإمام محي الدين النووي، وعضد الدين الإيجي صاحب كتاب المواقف والعقائد العضدية، والسعد التفتازاني صاحب شرح المقاصد وشرح النسفية.

إن جل العلماء في هذا العصر هم علماء موسوعيون لهم باع في مختلف مجالات العلوم الشرعية، قد أبدعوا وأثّروا في المكتبة الإسلامية[35].

أما من ناحية التصوف فقد كان مزدهرًا في أوج تألّقه وكان جل علماء الأشاعرة من أهل التصوف فقد برز في هذا العصر الكثير من العلماء والصالحين، من أبرزهم الشيخ محي الدين ابن العربي صاحب كتاب الفتوحات المكية، (وله باع طويل في علوم القرآن والحديث والتفسير والفقه واللغة والتاريخ وغيرها)، والشيخ أبو الحسن الشاذلي والإمام العز بن عبد السلام، والشيخ ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم العطائية، والشيخ شهاب الدين عمر السهروردي صاحب كتاب عوارف المعارف، والشيخ جلال الدين الرومي والشمس التبريزي، والشيخ نجم الدين الكبرى، والإمام تقي الدين السبكي والتاج السبكي والشيخ بهاء الدين نقشبند، والإمام الأصفهاني صاحب هذا الكتاب، وغيرهم كثير، رحمهم الله جميعًا.

[35] محمد بن محمد، فخر الدين ابن المعلم. **نجم المهتدي ورجم المعتدي**، تح: بلال السقا، دار التقوى. دمشق، ط: الأولى، 2019م، ص84

لقد ساهمت الحركة العلمية في ذلك العصر وما قبله بجذب الناس نحو التعلم وطلب العلم بكل فنونه، فانتشر العلماء وظهرت المدارس والمراكز التعليمية وكتبوا المصنفات وانتشرت في شتى بقاع العالم الإسلامي، وقد كان الشيخ الأصفهاني أحد العلماء الذين تأثروا بما يحيط بهم، فقرأ وتعلم، ثم أخذ يكتب المصنفات التي يغلب عليها الطابع العقدي، وقد كان بصيرًا بما يجري حوله من شُبه وأفكار منحرفة، فكتب في الرد عليها العديد من المصنفات، ولم يكتف بذلك، بل كان يجادلهم ويحاورهم، ويراسل الملوك والأمراء المسلمين، لتبصيرهم بأمور دينهم، ورعيتهم من المسلمين وغير المسلمين.

المبحث الثالث: تصانيفه

بعد أن جمع الأصفهاني مختلف العلوم اختلط بالحياة العامة للناس وكان له معرفة واختلاط بأهل الكتاب وغيرهم، على صلة وثيقة بوجهاء عصره والأمراء من ذوي السلطة والمناصب العالية يبدو هذا جليًّا من خلال مقدمات كتبه فقد كان يهدي كل كتاب له إلى أمراء ووجهاء زمانه...

تُنسب للإمام عمر الأصفهاني عدة تصانيف منها:

1. مسالك النظر في مسالك البشر، أو الجمع بين الملل والنحل(36)

2. دقائق النظر في حقائق البشر(37) ، والقواعد البدرية في عقائد البرية.

(36) ذكرها إسماعيل باشا بن محمد أمين البابابي دون نسبة في كتابه **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، ط:1 دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج: 2، ص473.

(37) البابابي، **المصدر السابق**، ج: 1، ص475

قال في كشف الظنون: القواعد البدرية في عقائد البرية . تأليف عمر بن خضر ابن عمر الأصبهاني مختصر أوله الحمد لله الذي هدانا للحق ...ثم قال: لخصه من كتاب الملل والنحل للشهرستاني[38].

وذكر في مقدمة كتابه القواعد البدرية: أنه خدم به الأمير بدر الدين ووصف هذا الأمير بأنه:

(من أقامه الله لتشييد شرائعه، وتعظيم شعائره، وتدبير بلاده وتيسير مصالح عباده، الطائع لله، المطاع في عباد الله، المولى المالك، مدبر الدول والممالك).

لقب بدر الدين استعمل لأكثر من واحد من أمراء المماليك في القرن السابع، والغالب أنه قصد به الأمير بدر الدين بيليك الخزندار (ت: 676هـ)، وهو نائب السلطنة لعهد الملك الظاهر بيبرس وهو من كبار خاصته المقربين إليه[39]

3. أساس البلاغة وقاعدة الفصاحة.

قال الشيخ إسماعيل باشا البابابي: الأصبهاني شمس الدين عمر بن خضر بن محمد الأصبهاني له أساس البلاغة وقاعدة الفصاحة، دقائق النظر في حقائق البشر، القواعد البدرية في عقائد البرية[40]

4. تعجيز المستعجز.

لم أجد من أشار إليه أو نسبته له في كتب التراجم لكن اسمه موجود على غلاف هذه النسخة ووجدت اسمه قد كُتب في نسخة دقائق النظر وأن صاحبها هو ذاته صاحب الرسالة المسماة بتعجيز المستعجز

---

[38] مصطفى بن عبدالله، حاجي خليفة ـــ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ت: محمد شرف الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ج:2، ص1357.

[39] عرّفت به عند التعليق على المقدمة في بداية الكتاب ص54.

[40] إسماعيل باشا، البابابي . **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول سنة1951م، ج: 1، ص796

ومعلوم عندنا أن دقائق النظر ثابتة النسبة إليه وأيضًا لتشابه عباراته بين هذه الكتب بل ينقل نفس العبارات أحيانًا وكذلك الأسلوب ذاته ووجود بعض المصطلحات عن المليين والمنتحلين في جميع هذه الكتب، وقد ذُكر في مقدمة هذا الكتاب أنه خدم به بعد أن ذكر الكثير من ألقاب المدح والتعظيم فقال: علاء الحق والدين بهاء الإسلام والمسلمين معين المعاني ومعين المحصّلين، يمين الملوك والسلاطين القاضي علاء الدين علي بن القاي تاج الدين أحمد بن الأثير، لا زال عالم الأثير مقبلًا عليه إقبال المعين الناصر، ولا تزال المعالي تتمهد له بسعادة الملك الناصر[41]...

-تعريف بالكتاب وعرض سريع لمحتواه

-منهج الأصفهاني في الكتاب

قد ذكرت في فقرة سابقة حينما تكلمت عن تصانيف الإمام الأصفهاني عامةً نسبة كل كتاب إليه ومن نسبه إليه من العلماء أصحاب التراجم (على ندرة من ذكره)، وإن كتابنا هذا القواعد البدرية في عقائد البرية ودقائق النظر في حقائق البشر، قد جعلهما الباباني في (هدية العارفين) كتابين ولا غريب في ذلك لأنه نظر إلى اختلاف مقدمة كل كتاب وإهدائه، فبين أيدينا مخطوطتان لكل منهما اسم خاص وخطبة ومقدمة خاصة وفيهما إهداؤه الخاص لبعض أهل عصره، لكن بعد هذه المقدمات يظهر متنا الكتابين متفقين بشكل شبه تام، مع وجود فروقات يسيرة. وكان المؤلف قد ذكر في خطبة كل منهما سببًا خاصًا بعثه على تأليف هذا الكتاب:

قال في خطبة كتابه القواعد البدرية[42]: فإن من المِلّيين والمنتحِلين من ينازعنا في نبوة نبينا، ورسالة رسولنا لأوهام سقيمة، وأقوالٍ عقيمة، فأردنا دفع أوهامهم، والتنبيه على مزالِّ أقدامهم، فأوردنا آراءهم، وسردنا

---

(41) يقصد الملك ناصر الدين محمد بن قلاوون وهو الملك التاسع من سلاطين المماليك البحرية، ت: 741 للهجرة.

(42) تجدها في الصفحة54 من هذا الكتاب.

أقوالهم، وحصـــرناها في أصـــول، وجمعناها في فصـــول، ... وذكر بعدها أنه خدم به الأمير (بدرالدين) والراجح عندي أنه يقصد الأمير الكبير بدر الدين بيليك بن عبد الله الخزندار نائب الديار المصرية للملك الظاهر[43]، فلم يكن أميرًا ملقّب بهذا اللقب ومعاصر له غيره والله أعلم، إلى أن قال:

وكان الباعثَ إليه، والحامل عليه، ما بلغني أن الإشارة العالية شخّصت شخصًا من الكُتّاب لمقابلة ما في كتابَيْ أهل الكتاب من الأحكام، وتواريخ الأنام، ودار الكلام بين المشار إليه وطائفته، وتسلسلَ الحديثُ إلى آخر جماعته، وآل الحال إلى لا أحد:

يا طارق الباب على عبد الصمد لا تطرقِ الباب فما ثَمّ أحدْ

وعند ذلك كتبتُ ما كتبت، وخدمت به مَن خدمت[44].

وأما في خطبة دقائق النظر فقد ذكر المؤلف إضـافة لأسـباب قريبة من هذه الأسـباب لكنه ذكر مناسـبة وأسباب أخرى فكان مما ذكر فيها[45]:

وأكثرُ مَن دخل في الإسـلام من الأقباط، ومن بني الأسباط، إنما دخلوا فيه رغبةً في الرِّياسـة، ورهبةً من السياسة، مصرِّينَ على ما كانوا عليه، متبرِّمينَ بما صاروا إليه.

---

(43) قال ابن كثير: الأمير الكبير بدر الدين بيليك بن عبد الله الخزندار نائب الديار المصـرية للملك الظاهر، كان جوادا ممدَّحًا، له إلمام ومعرفة بأيام الناس والتواريخ ، وقد وقف درسـا بالجامع الأزهر على الشـافعية، (الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: د. رياض عبدالحميد مراد، محمد حســان عبيد، طبعة خاصــة بوزارة الأوقاف والشـؤون الإسـلامية، دولة قطر، 2015م، الجزء الخامس عشـر، أحداث سـنة سـت وسـبعين وسـتمائة، ص 459،458)

(44) انظر: خطبة كتابه **القواعد البدرية** صفحة 53 من هذا الكتاب.

(45) خطبة كتابه **دقائق النظر**، في الصفحة 55 من كتابنا هذا.

فإذا أتوهُ زائرينَ، (أي إلى الشـــيخ جلال الدين وهو الذي أهدى إليه هذا الكتاب كما بيّن في خطبته) وزارُوه مقتصرين، نبَّههم منها على غلطهم، ولطّفَ بها من كثافتهم وغِلَظِهِم، فإنها توافقُ أصولهم ولاتخالفُ نصـوصَـهم، وإذا مرّتْ بهم مالوا إليها، وأقبلوا عليها، وقلَّ عنادُهم، وحَسُـنَ انقيادُهم، وآمنوا برسـالة النبيِّ الأُمّيّ، وجمعوا بين الإسـلام الُّلغوي والشـرعي، وهو السـببُ الأكبرُ لوضـع هذا الكتاب، واللهُ الهادي للصواب. انتهى كلام الشيخ.

فكان من المناسب أن يهدي للشيخ جلال الدين كونه كثير الاختلاط باليهود والنصارى كتابًا يعتمد فيه على دلائل نبوة محمد صـــلى الله عليه وســـلم من كتبهم والمأثور من كلام أنبيائهم يتلطف بهم في ذلك ويستميل بواطنهم بعد أن أسلمت ظواهرهم، كما ذكر في خطبته.

والذي أراه أن الكتابين هما كتاب واحد لكن الشيخ الأصـفهاني جعل الخطبة بمنزلة كتابة إهداء النسـخة إلى من أرسل بها إليه من أهل العصر.

لقد كتب الأصفهاني كتابه هذا حول عقائد البرية أي عقائد البشر على أن هذه العقائد لها أصول وهذه الأصول تنقسم إلى ثلاثة أقسام ذكرها في مقدمة كتابه فقال:

1. قسم فاسد من أصله باقٍ على فساده وهم المنتحلون.
2. قسم صحيح من أصله، غير باقٍ على صحته، وهم المِلّيون غير المسلمين.
3. قسم صحيح من أصله، باقٍ على صحته، وهم المسلمون.

ثم ذكر فيما بعد من كتابه تفصيل كل قسم كان قد أجملهم بقوله:

فالمليون والمنتحلون على كثرتهم ينحصرون في ثمانية أصـول هم: المسـلمون، والنصـارى، واليهود، والمجوس، والصابئة، والفلاسفة، والدهرية، والسفسطائية، وهذا ترتيبهم.

وهو الترتيب الذي مشى عليه في كتابه ثم بعدها ذهب يبيّن أسباب تقديم كل ملة على الأخرى.

ويتبين لنا من خلال دراسة الكتاب أن المعنى المقصود بأرباب الملل وهم مستمِدّون أي لهم مرجع من نبوة وكتاب، وأرباب النحل المستبدّون أي الذين وضعوا عقائدهم بمحض عقولهم، وقد وضع الأصفهاني الصابئة بين الفريقين حسب ترتيبه في الكتاب وقال عنهم:

لا شك أنهم ينقادون للروحانيات، ويهتدون بالأنوار المجردة التي هي العقول عند الفلاسفة، والملائكة عند المتشرعين.

وذكر بعد ذلك أن الواسطة بينهم وبين الروحانيات هما شيث وإدريس وينكرون غيرهما من الأنبياء والحكماء...

فهو قد جعل الصابئة بين الفريقين بما لهم من نبوات قديمة محرفة وينسبون إليها بعض عقائدهم دون أحكامهم ومعاملاتهم، فهم أشبهوا المتشرعين من وجه، وأشبهوا الفلاسفة من وجه آخر.

قام الأصفهاني بدراسة آراء هؤلاء جميعًا أي المليين والمنتحلين وحصر منازعهم في ثمانية أصول، اعتمد الأصفهاني فيها على قاعدتين:

الأولى معرفية، متعلقة بإمكان المعرفة ثم متعلقات المدارك الإنسانية وهذه القاعدة تنطبق على أهل النحل، فمنهم من لا يقول بإمكان المعرفة ويردّها إلى الوهم والخيال كالسوفسطائية.

ومنهم أرقى درجة فيؤمن بالإدراك الحسي دون غيره كالدهرية، ومنهم من يزيد مرتبة أخرى فيؤمن بالمحسوس والمعقول كالفلاسفة.

القاعدة الثانية: مدنية تتعلق بقوانين التعامل الاجتماعي فإذا وثقنا بالمدارك الإنسانية فهي إما تحمل صاحبها على التقيد بحدود وأحكام كالفلاسفة، أو يتقيد بهما دون شرع منزل كالصابئة، أو يرى شرعًا دون كتاب كالمجوس، أو يرى كتابًا ويعتقد أنه غير منسوخ فلا يؤمن بالنسخ بكتاب بعده كاليهود، أو

يرى النسخ بشكل عام لكنه لا يؤمن بأن رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ناسخة لشريعتهم كالنصارى، أو من جمع ذلك كله وأضاف إليه الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المسلمون.

وعلى هذه القواعد اعتمد الأصفهاني في ضبط المذاهب الدينية كافة دون الفرق المندرجة تحت دين واحد، وهو أشبه ما يكون بمنهج الإمام الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل، الذي حاول تعيين قانون يبني عليه تعداد الفرق الإسلامية وبناه على تعداد المسائل العامة أو ما يسميه الأصول الكبار التي تنازعتها الفرق الكبار واختلفت فيها...

ثم يبدأ الأصفهاني بناء على هذا التحديد في الكلام على العقائد من أعلاها إلى أدناها فيبدأ بالأصل الأول وهو الإسلام:

الأصل الأول: في الإسلام:

وهو خمسة فصول:

- الفصل الأول: في بيان نبوة نبينا محمدﷺ.

ذكر في هذا الفصل بيان نبوته عليه الصلاة والسلام للنصارى واليهود على منهاج الملبيين من ثلاثة طرق:

1. طريق بتقرير معجزاته وتحرير آياته والاستدلال بها على نبوته.
2. طريق بنقل آدابه وفضائله، ومحاسن سننه ودقائق شريعته.
3. طريق ببيان إعلام الأنبياء بنبوته وإخبارهم عن رسالته.

وأما المنتحلون فسيجيء الكلام معهم كلٌّ في موضعه.

- الفصل الثاني: في الاستدلال على نبوته من التوراة، وذكر فيه ثلاثة مواضع من التوراة استدل بها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

- الفصل الثالث: في الاستدلال على نبوته من الإنجيل، وذكر فيه موضعين من الإنجيل.
- الفصل الرابع: في الاستدلال على نبوته من الزبور، وذكر فيه ثلاثة مواضع من الزبور.
- الفصل الخامس: في الاستدلال على نبوته من كلام أنبياء بني إسرائيل، (استدل بكلام إشعيا من سفر إشعيا، وبكلام لحزقيل ودانيال...)، والكلام على الإسلام وفرق المسلمين على طريق كلي (وتكلم في هذا الفصل عن تعريف الإسلام لغة وشرعًا، وعن حكم من لم تبلغه الدعوة)

الأصل الثاني: في الملة النصرانية:

وهو ثمانية فصول:

- الفصـــل الأول: في حكاية آرائهم وعقائدهم المتفق عليها والمختلف فيها، كاختلافهم في قولهم أن الإله ثلاثة أقانيم: آب، وابن، وروح القدُس، وكل واحد منها إله تام، والكل إله واحد، وذكر إجماعهم على أن شريعتهم ناسخة لشريعة التوراة، وأن شريعتهم لا تنسخ، وذكر أقوال بعض فرق النصرانية كالملكية واليعقوبية في التجسد والاتحاد.
- الفصـــل الثاني: في إبطال قولهم: إن الإله جوهر ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح ا القدس، كل واحد منها إله تام، والكل إله واحد، وفي هذا الفصـــل يرد الاصـــفهاني عليهم في إبطال قولهم أن الإله جوهر ويحاججهم بالحجج العقلية، ويبيّن لهم أن الموجود ينقســـم إلى القديم وهو الله جل جلاله. وإلى الحادث وهو كل موجود ســـوى الله وســـوى صـــفاته، ويرد عليهم ويبطل قولهم بالأقانيم من خلال الإلزامات العقلية التي يحاججهم بها ويلزمهم عليها.
- الفصل الثالث: في إبطال قولهم بالنزول والاتحاد، وتخليص الإنسان وربط الشيطان، يبطل في هذا الفصل قولهم بالنزول ويبيّن أن النزول والانتقال من خواص الأجسام، والله تعالى منزه عن الجسمية

وفي هذا الفصل يتبين لنا واضحًا انتماؤه للمدرسة الأشعرية من خلال نفي لوازم الجسمية عن الله تعالى.

- الفصل الرابع: في إيراد جملة ما استدلوا به على إلهية المسيح، وذكر أنهم استدلوا بنصوص من الإنجيل وأخبار الأنبياء رد عليها في الفصل التالي.
- الفصل الخامس: في الجواب عن شبهاتهم المذكورة مجملًا ومفصلًا، في هذا الفصل يرد الشيخ الأصفهاني عليهم من بعض أقوالهم ويذكر قول المسيح: لا أستطيع أن أعمل شيئا ولا أتفكر إلا باسم إلهي وغيره...وكذلك يثبت بطلان أقوالهم بالبراهين العقلية.
- الفصل السادس: فيما يصرح بنفي إلهية المسيح من الإنجيل، واستدل لذلك بأقوال للمسيح في الإنجيل وذلك لما سئل عن الساعة، فقال المسيح: أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا ملائكة السماء.. يقول الأصفهاني: فهذا بيان باهر وبرهان قاهر على نفي إلهيته، فإن من لا يعلم الساعة كيف يأتي بالساعة، وكيف يكون إلهًا وهو لا يعلم متى تكون الساعة.
- الفصل السابع: في العدل والفضل، والنزول والمعاد، يذكر في هذا الفصل معنى العدل والفضل ومعنى الشريعة العادلة عندهم هي الشريعة الموسوية، ومعنى العدل مقابلة المثل بالمثل والشريعة الفاضلة عندهم هي الشريعة المسيحية ومعنى الفضل هو العفو والتجاوز، ويذكر الآراء في المعاد...
- الفصل الثامن: في تناقض الأناجيل، يذكر فيه بعض الأخبار واختلافها في الأناجيل.

الأصل الثالث: في اليهود:

وفيه خمسة فصول:

- الفصل الأول: في النسخ، تكلم فيه الشيخ عن إنكار اليهود النسخ، وذكر حججهم وردّ عليها وذكر بعض صور النسخ التي وقعت عندهم: منها أمر الله إبراهيم بذبح ولده، ونهيه عنه، وهذا نسخ، وذكر أمثلة أخرى للنسخ الواقع عندهم...

- الفصل الثاني: في تحريف التوراة وتبديله، قال والدليل على ذلك: التناقض الواقع في جميع نسخ التوراة، والتناقض الواقع بين النسخة التي في أيديهم والتي في أيدي النصارى، وذهب يضرب الأمثلة لهذه التناقضات...

- الفصل الثالث: فيما قالوه في الله وفي أنبيائه، ذكر بعض أقوالهم الشنيعة بحق الله تعالى، وبحق الأنبياء (وقد قالوا فيهم أخبار قبيحة شنيعة يترفّع عنها فسّاق البشر)، ثم قال: وهم يعتقدون أن الله نزل انتقالًا وتكلّم شفاهًا، وهم أصل التجسيم والتشبيه ومنهم انتشر في الأمم.

والحقيقة أنه لا يوجد في الملل والنحل أنزع من اليهود على التجسيم وذكر القرآن الكريم أنه ومع وجود موسى عليه السلام مع اليهود وبينهم لم يصبروا على التنزيه برهة، فبعد أن جاوزوا البحر وأنجاهم الله من فرعون، طلبوا من نبي الله موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا مجسمًا، قال الله تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى احعل لنا إلهًا كما لهم آلهة﴾ (46)، وتشهد نصوص التوراة بانحطاط اليهود من التنزيه إلى التجسيم ونسبة اليهود إلى التجسيم مما اتفق عليه كتّاب الملل والنحل، ويجدر الإشارة هنا إلى أن تجسيم اليهود كان له أثر في ظهور التجسيم في معتقد بعض الفرق الإسلامية، وفي البداية كان ظهور التجسيم في الروافض، مثل بيان بن سمعان وهشام بن الحكم، ثم انتقل إلى بعض المنتسبين إلى أهل الحديث، كمقاتل بن سليمان (ت:150هـ) أقدم من يُحكى عنه التجسيم، أخرج الخطيب

(46) سورة الأعراف، الآية138

البغدادي في تاريخ بغداد بسنده عن أبي حنيفة قال: (أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل ومقاتل مشبه)، وذكر قوله بالتجسيم الإمام الأشعري في مقالات الإسلاميين، وكذلك الذهبي في السير...

وكان السبب في تسرب التجسيم إلى عقائد بعض أهل الحديث قبولهم مرويات أهل الكتاب. بل وربما البعض اقتبس من عقائد اليهود[47]، وكان محمد بن كرام السجستاني(ت:255هـ). وأتباعه الكرامية وهي فرقة كلامية ظهرت في النصف الأول من القرن الثالث الهجري قامت بتجسيم الذات الإلهية وتشبيهها بغيرها من الموجودات، وكذلك ظهر بعض المجسمة من الحنابلة كابن الزاغوني والدارمي[48] عثمان بن سعيد صاحب كتاب النقض على بشر المريسي والذي ملأه بالتجسيم والتشبيه، وقد تصدى لتفنيده العلامة الأستاذ محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في كتبه ومقالاته، ومن الشخصيات الجدلية في هذا الموضوع أبو يعلى، وابن تيمية[49] وتلميذه ابن القيم.

- الفصل الرابع: في سؤال وجواب وكلام كلي. (حول النسخ التي في أيدي النصارى وصحة نسبتها، ويستدل على تحريف التوراة وتبديله ما فيه من العقائد الخبيثة وقلة آدابهم مع الله ورسله، واختلاف أقوالهم في التوراة وتناقض النسخ...)
- الفصل الخامس: في بقية خرافاتهم، (شبيه بالفصل السابق)

الأصل الرابع: في الملة المجوسية

---

[47](صهيب بن محمود، السقار- **التجسيم في الفكر الإسلامي**، مكتبة آفاق للنشر- الكويت، ط: الأولى، 2015م، ص:68).

[48] وهو غير الإمام الدارمي صاحب السنن فليتنبه لذلك.

[49] ألّف الإمام علاء الدين البخاري الحنفي الماتريدي (ت:841هـ)، كتابه **ملجمة المجسمة** قام فيه بالرد على ابن تيمية. وقد كتب الكثير من العلماء في الرد على ابن تيمية وابن القيم في هذه المسائل وغيرها.

- الفصل الأول: في قاعدة دينهم، مما قاله: كانوا يعتقدون النور والظلمة، ويسندون إليهما سائر الحوادث.
- الفصل الثاني: في الكلام عليها.

الأصل الخامس: في مذهب الصابئة

- الفصل الأول: في قاعدة دينهم، ذكر أنهم ينقادون للروحانيات ويهتدون بالأنوار المجردة التي هي العقول عند الفلاسفة وواسطتهم بينهم وبين الروحانيات شيث وإدريس، وينكرون غيرهما من الأنبياء والحكماء.
- الفصل الثاني: في الكلام عليها.

الأصل السادس: في الآراء الفلسفية

- الفصل الأول: في الفلاسفة الذين ينكرون النبوات، قال: وهم براهمة الهند وحكماؤها ثم ذكر أن لهم أربع شبهات وأجاب عن كل شبهة.
- الفصل الثاني: في الفلاسفة الذين يعظمون النبوات. قال: وهم طوائف وفرق، والفلسفة الكاملة توجد في اليونانيين خاصة، وإمام الجميع والمعلم الأول والفيلسوف المطلق هو أرسطاطاليس، وكونه إمام الكل ذكر أن الكلام معه يغني عن الكلام مع غيره، فذكر مذهبه وبعض أقواله وأخذ يرد عليها ويفنّدها، وقال في أخر الفصل: فأحكام العقل قاصرة على أحوال الحياة الأولى ومقصّرة عن فهم الحياة الثانية، والسعادة الآتية فلم يبق إلا الرجوع إلى الظهور النبوي والنور المحمدي والله أعلم بخلقه.

الأصل السابع: في الدهرية

- وهو فصل واحد:

ذكر قولهم: أن العالم لم يزل كان هكذا ولا يزال يكون هكذا: رجل من نطفة ونطفة من رجل وحب من نبات ونبات من حب...

ثم قال ولا حجة لهم فنتعرض لها...وعقولهم ليست قابلة للأدلة والحجج فهم والبهائم سواء.

الأصل الثامن: في السوفسطائية

- وهو فصل واحد:

كان مما قال فيه: اعلم أن هذه الطائفة أردأ الطوائف، ومذهبها أخبث المذاهب، ورأيها أبعد الآراء عن الصواب، وحالها يشبه حال البهائم، بل أردأ، ومقتضى كلامهم نفي الحقائق، وهم محجوجون بنفس دعواهم فليس لإنكارهم حقيقة وما لا حقيقة له لا يدفع الحقيقة.

تبيّن لنا من خلال دراسة الكتاب أن الأصفهاني جادل أهل الملل والنحل ابتدأ بأعلاها وهو الإسلام وانتهى إلى أهل السفسطة لكنه جعل جل اهتمامه بالنصرانية واليهودية وتوسّع بالكلام عليهما، وإلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بها من القول بنسخ الشرائع السابقة لبعثته، فمدار كتابات الأصفهاني على إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم، ومَن ينفي حقائق الأشياء ومن لا يؤمن سوى بالمحسوس ومن يؤمن بالمعقول ولا يؤمن بشرع. هؤلاء جميعًا يقدحون في النبوة فهو يجادلهم من هذا الباب...

وقد سلك الأصفهاني في إثبات النبوة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة مسالك:

االأول: القرآن وقد أشار إليه في الأصل الأول وهو الإسلام وأشار فيه إلى إعجازه ودقائقه وفصاحته وبلاغته.

االثاني: الاستدلال على نبوته صلى الله عليه وسلم بسننه وآثاره.

الثالث: ذكر الإشارات والبشارات ببعثته عليه الصلاة والسلام من الكتب الإلهية وقد أطال فيه الكلام.

لقد اتسم منهج الشيخ الأصفهاني بعدة سمات:

اعتمد الأصــفهاني في كتابه منهج الحجاج بالأدلة العقلية والنقلية، فهو في أصــول كل ملة أو نحلة ذكرها في كتابه يأتي على نصــوص كتابهم إن كانوا أهل كتاب ويســتدل بهذه النصــوص أو يظهر تحريفها من باب إدانتهم من كتبهم وإلا فإننا نجد أن الأصـــفهاني لم يلجأ إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مجادلاته معهم، وإن لم يكونوا أهل كتاب يذكر آراءهم وشـــبههم ويرد عليها بأسلوب عقلي يتناسب معهم التوسع والإكثار من الاعتماد على النصوص الواردة في كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم، وكأنه اعتمد في هذا على القرآن الكريم كما في قوله تعالى:﴿وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾[50]، وكذلك قوله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرســول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل﴾[51]

فهو بذكر هذه النصــوص من كتبهم كأنه يصــحح ويثبت ماورد في القرآن ويســتميل غير المســلمين إلى الإســلام، وأحيانًا يثبت تحريفهم لكتبهم وتبديلهم كما في الآية: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾[52].

مما يؤخذ على المؤلف ذكره للشــواهد الكتابية دون الإشــارة إلى أي مرجع أو مصــنف قبله، وكان من العلماء من جمع بعض هذه الشواهد كابن حزم لكن لا نعلم هل المصنف استفاد منها أو لا ومن منهج الشيخ أيضًا أنه استخدم القياس الشرطي المتصل والمنفصل في مجادلة نصوص أهل الكتاب واستخراج

(50) سورة الصف، الآية6

(51) سورة الأعراف، الآية157

(52) سورة البقرة، الآية79

الدلالة فيها على النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك استخدمه في بعض المسائل والإلزامات والحجج العقلية، وكذلك نرى أن الشيخ الأصفهاني قد جمع بين الإجمال والتفصيل في كثير من المسائل العلمية والأدلة التي كان يناقش فيها، والغالب أنه كان في عامة المسائل يميل إلى الإجمال فيها دون الخوض في التفاصيل التي قد تحتملها لو أراد التفصيل فيها.

نماذج من النسخ الخطية–من مخطوطة القواعد البدرية في عقائد البرية (ب)

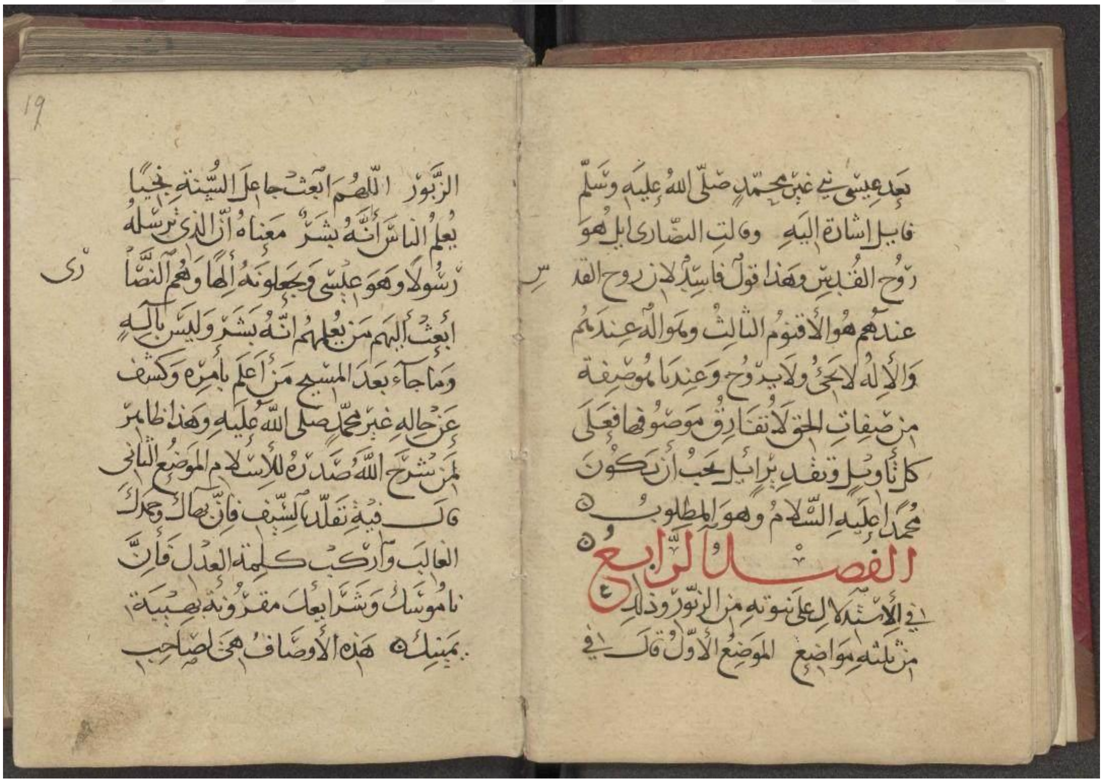


غلاف النسخة (ب) اللوحة رقم (1)

من المخطوطة (ب)



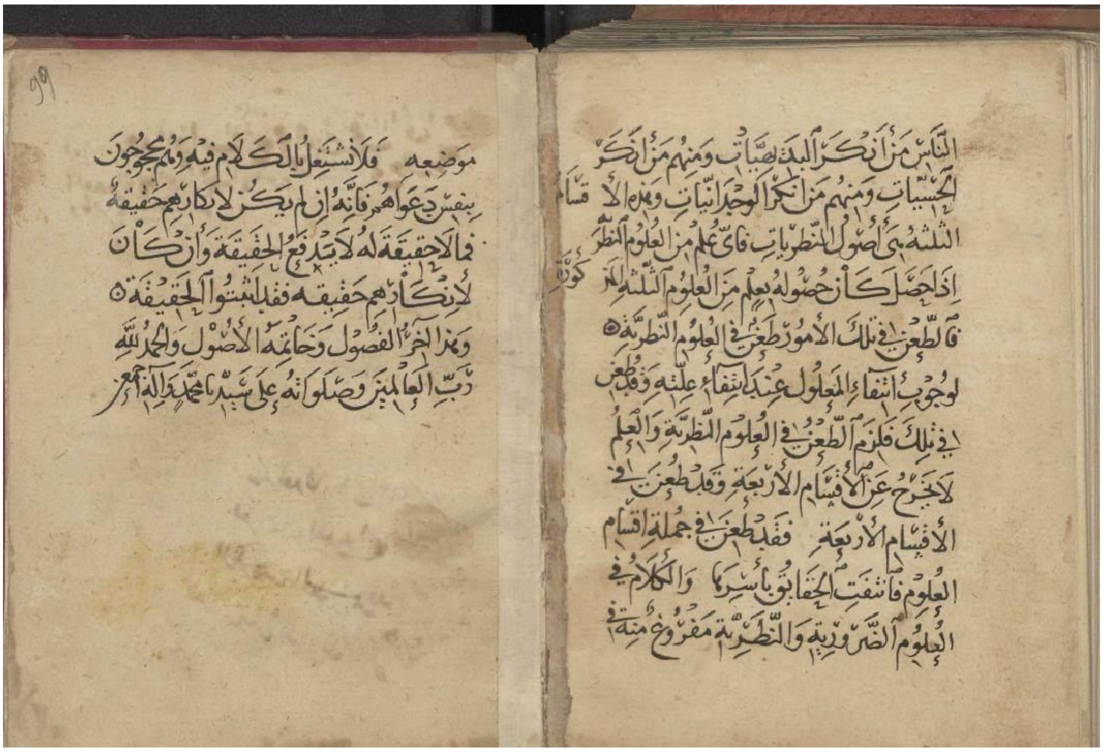
اللوحة رقم (2) من المخطوطة (ب)



اللوحة رقم (19) من المخطوطة (ب)



اللوحة رقم (98) من المخطوطة (ب)



اللوحة رقم (99) وهي الأخيرة من المخطوطة (ب)

نماذج من النسخ الخطية– من مخطوطة دقائق النظر في حقائق البشر (ق)



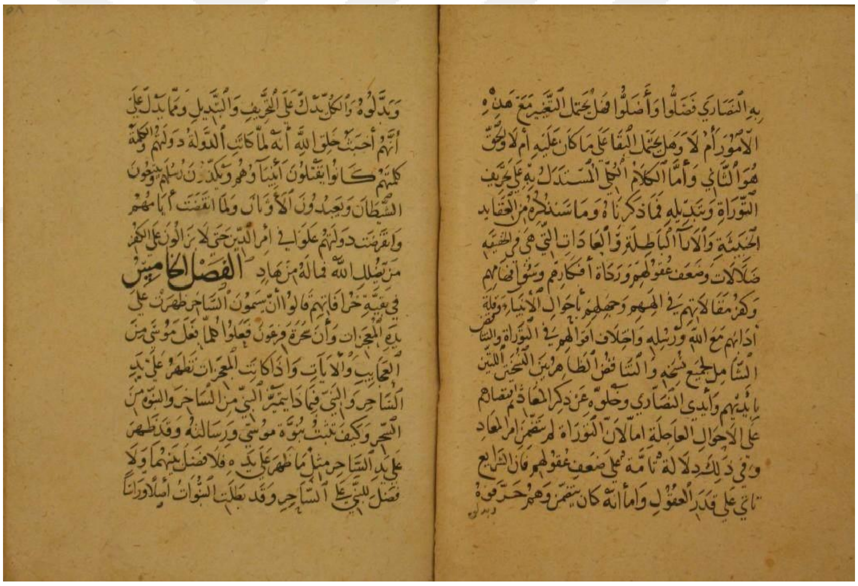
اللوحة رقم (1) وهي غلاف نسخة دقائق النظر(ق)



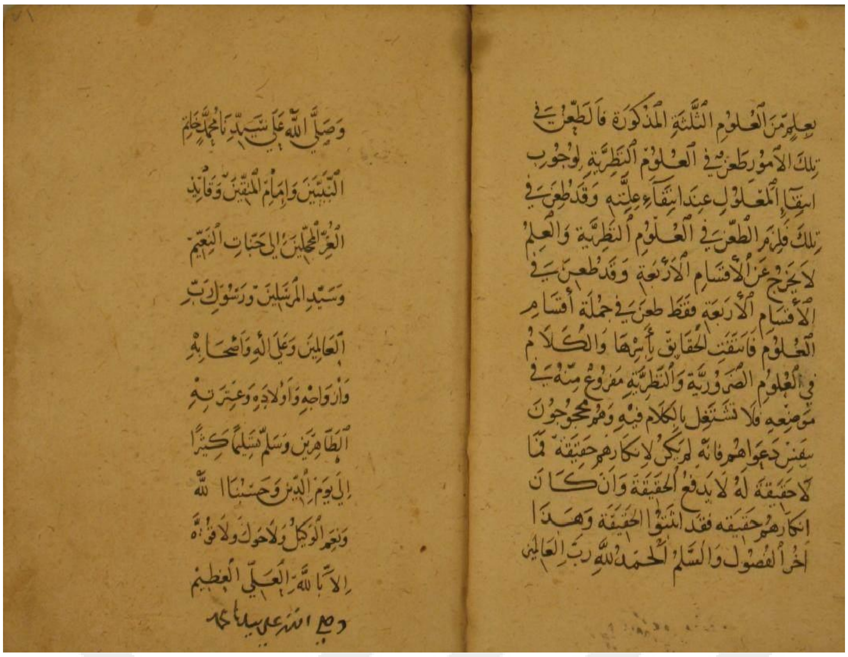
اللوحة رقم (2) من المخطوطة (ق)



اللوحة رقم (16) من المخطوطة (ق)



اللوحة رقم (58) من المخطوطة (ق)



بعلم من العلوم الثلثة المذكورة فالطعن في
تلك الأمور طعن في العلوم النظرية لوجوب
انتفاء المعلول عند انتفاء علته وقد طعن في
تلك فلزم الطعن في العلوم النظرية والعلم
لا يخرج عن الأقسام الأربعة وقد طعن في
الأقسام الأربعة فقط طعن في جملة أقسام
العلوم فانتفت الحقائق بأسرها والكلام
في العلوم الضرورية والنظرية مفروغ منه في
موضعه فلا نشتغل بالكلام فيه وهم محجوجون
بنفس دعواهم فإنه لم يكن لإنكارهم حقيقة فما
لا حقيقة له لا يدفع الحقيقة وإن كان
إنكارهم حقيقة فقد أثبتوا الحقيقة وهذا
آخر الفصول والسلم الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين وإمام المتقين وقائد
الغر المحجلين إلى جنات النعيم
وسيد المرسلين ورسول رب
العالمين وعلى آله وأصحابه
وأزواجه وأولاده وعترته
الطاهرين وسلم تسليما كثيرا
إلى يوم الدين وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم
وصلى الله على سيدنا محمد

اللوحة رقم (71)

وهي اللوحة الأخيرة من المخطوطة (ق)

النص المحقق

- **ويتضمن المقدمة (خطبة الكتاب) وثمانية أصول:**
- **خطبة الكتاب**
- الأصل الأول: في الإسلام
- الأصل الثاني: في الملة النصرانية
- الأصل الثالث: في اليهود
- الأصل الرابع: في الملة المجوسية
- الأصل الخامس: في مذهب الصابئة
- الأصل السادس: في الآراء الفلسفية
- الأصل السابع: في الدهرية
- الأصل الثامن: في السوفسطائية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي، الحمد لله الذي هدانا للحقّ، ودعانا إلى الصدق، على لسان إمام المرسلين، وخاتم المنذِرين محمد صلى الله عليه وعلى آله أجمعين.

وبعد، فإن من الملِّيين[53] والمنتحِلين من ينازعنا في نبوة نبينا، ورسالة رسولنا، لأوهام سقيمة، وأقوالٍ عقيمة، فأردنا دفع أوهامهم، والتنبيه على مزالِّ أقدامهم، فأوردنا آراءهم، وسردنا أقوالهم، وحصرناها في أصول، وجمعناها في فصول، وخدمنا بها مَن أقامه الله لتشييد شرائعه، وتعظيم شعائره، وتدبير بلاده وتيسير مصالح عباده، الطائع لله، المطاع في عباد الله، المولى المالك، مدبِّر الدُّول والممالك، الأمير (بدرالدين)[54] لا سلب الله عن الأنام عدله، ولا أعدم أبناء الأيام إفضاله وفضله.

---

[53] الملّي نسبة إلى الملّة، والملل جمع ملّة، الأديان المتعددة بتعدد أصحاب الشرائع، والنحل المذاهب المنشعبة من كل دين بتعدد المجتهدين كذا في شرح الفصوص لعبد الرحمن الجامي. ويقول في مرآة الأسرار: أهل الملل: هم أقوام يتبعون كتابًا دينيًا، وأما أهل النحل فهم ليسوا تابعين لكتاب ديني.

(الباحث العلامة محمد علي التهانوَي، **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون . بيروت ـالطبعة الأولى: 1996م ج2/ص1639).

وقيل إن الفرق بين الدين، والملة، والمذهب: أنّ الدين منسوب إلى الله تعالى، والملّة منسوبة إلى الرسول، والمذهب منسوب إلى المجتهد.

(السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، **كتاب التعريفات**، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2017م، ص 87).

[54] الأمير بدرالدين بيليك الخازندار الأمير الكبير بدر الدين بيليك بن عبد الله الخزندار نائب الديار المصرية للملك الظاهر، كان جوادا ممدَّحًا، له إلمام ومعرفة بأيام الناس والتواريخ ، وقد وقف درسا بالجامع الأزهر على الشافعية. (الإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: د. رياض عبد الحميد مراد، محمد حسان عبيد، طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 2015م، ج: 15، أحداث سنة 676هـ، ص 459.458)

وكان الباعثَ إليه، والحامل عليه، ما بلغني أن الإشارة العالية شخّصت شخصًا من الكُتّاب لمقابلة ما في كتابَيْ أهل الكتاب من الأحكام، وتواريخ الأنام، ودار الكلام بين المشار إليه وطائفته، وتسلسلَ الحديثُ إلى آخر جماعته، وآل الحال إلى لا أحد:

يا طارق الباب على عبد الصمد   لا تطرقِ الباب فما ثَمّ أحدْ

وعند ذلك كتبتُ ما كتبت، وخدمت به مَن خدمت[55].

---

[55] (خدمت به): ذكر قبل عدة أسطر أنه خدم بهذا الكتاب الأمير بدر الدين وفي خطبة النسخة (ق)ذكر أنه خدم بها الشيخ جلال الدين ولقد وردت هذه الكلمة في بعض كتب علماء القرن الثامن والتاسع ويقصدون بها خدمة الأمراء والمشايخ، قال الإمام شمس الدين محمد المالكي الشهير بالخطيب الوزيري في شرحه على الرسالة الرسلانية: خدمتُ به سلطان الإسلام، ظل الله تعالى على الأنام، خليفة الله تعالى في الأرض، القائم بالسنة والفرض،...الملك الأشرف: أبو النصر قايتباي. (الإمام شمس الدين محمد بن إبراهيم المصري المالكي الشهير بالخطيب الوزيري المتوفى سنة 891هـ، **الفتوحات الربانية في شرح الرسالة الرسلانية**، تحقيق ودراسة د. أحمد رجب أبو سالم، دار الفتح، عمان ـــ الأردن، الطبعة الأولى 2020م، ص.370).

وهذا تصدير الأصول، وتقسيمها بالخواص والفصول[56].

لا شك أن الإنسان لا يخلو:

---

[56] **خطبة النسخة (ق)**:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

من كلام الشيخ الإمام العالم العامل، المحقق المتقن، محيي الدين عمر بن خضر بن عمر الشافعي، جعله الله زيادة في زاده، وعدة لمعاده، بمحمد وآله.

الحمد لله الذي فطرنا على الإسلام، وجعلنا على التسليم والاستسلام، والصلاة على محمد خير الأنام، وعلى آله البررة الكرام.

أما بعد، فإن العالَمَ لا محالة، إلى نفاد، والإنسان لا بد له من معاد، والموتُ وإن كان ضرورياً لا يحتاج إلى بيان.

فالمعاد نظريٌّ لا بد له من برهان، ولا برهانَ أقوى من الكتاب المبين، وأخبارِ الرسول الأمين، غير أنّ من المِلِّيّين والمنتحِلين من ينازعنا في نبوَّة نبينا، ورسالة رسولنا، فلا بد من دفع أوهامهم، والتنبيه على مزالِّ أقدامهم، ليعلموا رشدنا وغيَّهم، وعدلَنا وبغيَهم، ولذلك أوردنا آراءهم وسردنا أقوالهم، وحصرناها في أصول، وجمعناها في فصول، مع تسهيل العبارة، وتقريب الإشارة، لتهتديَ سائرُ الطوائف، إلى ما فيها من النكت واللطائف.

ولما تقررتِ الأصولُ في النفس، وتحررتِ الفصولُ على ما ساعد من الفكر والحدْس.

خدمتُ بها مَن شعارُه الإفصاحُ عن حجة الحق على الخلق، ودثارُه الإيضاحُ لمحجة الخلق إلى الحق، من الأسرار النبوية، والأنوارِ المحمدية، والأخبار المروية، والأفكار والرويّة، قدوةَ الأنام، شيخَ مشايخ الإسلام، الشيخَ جلالَ الدين، لا زال يُهدى ببركته الضال، ويُعدم بوجوده الضَّلالُ، لا لحاجة مثلِه بمثلها، واحتياجِه إلى ربطها وحلِّها، في روايته ودرايتِه (هكذا كُتبت في الأصل، ولعلها درايته)، أواعتقاده وانقياده، فإنّ مَن شرح الله صدره للإسلام ومَنَّ عليه بالفيضِ والإلهام، يستغني عن كل قالٍ وقيلٍ، والنهارُ لا يحتاج إلى دليل.

بل لأنَّ في الأمر الأكثرِ، أكثرُ مَن دخل في الإسلام من الأقباط، ومن بني الأسباط، إنما دخلوا فيه رغبةً في الرِّياسة ورهبةً من السياسة، مصرِّينَ على ما كانوا عليه، متبرِّمينَ بما صاروا إليه.

فإذا أتوهُ زائرينَ، وزارُوه مقتصرين، نبَّههم منها على غلطهم، ولطَّفَ بها من كثافتهم وغِلَظِهم، فإنها توافقُ أصولهم ولاتخالفُ نصوصَهم، وإذا مرّتْ بهم مالوا إليها، وأقبلوا عليها، وقلَّ عنادُهم، وحَسُنَ انقيادُهم، وآمنوا برسالة النبيِّ الأُمّيّ، وجمعوا بين الإسلام الُّلغوي والشرعي، وهو السببُ الأكبرُ لوضع هذا الكتاب.

واللهُ الهادي للصواب.

وصدَّرْنا الكتابَ بالأُصول، وقسّمناها بالخواصّ والفصول، وهكذا الإنسانُ: إما ألا يرى محسوسا...

إما أن لا يرى محسوساً ولا معقولاً، وهم: «السُّوفِسطائية»[57].

وإما أن يرى محسوساً ولا يرى معقولاً، وهم: «الدهرية»[58].

وإما أن يرى معقولاً ولا يرى محسوساً، وهذا لم يقل به قائل.

وإما أن يرى محسوساً ومعقولاً، ولا يرى حدوداً وأحكاماً، وهم:

«الفلاسفة».

وإما أن يرى محسوساً ومعقولاً، وحدوداً وأحكاماً، ولا يرى شرعًا[59] وهم: «الصابئة».

---

[57] في النسخة (ق): السفسطائية.

" والسوفسطائية ثلاثة فرق: 1. العِنادية: ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون أنها أوهام وخيالات باطلة.

2ـــ العِندية: ينكرون ثبوت حقائق الأشياء ويزعمون أنها تابعة للاعتقادات فإن اعتقدنا الشيء جوهرًا فهو جوهر، أو عرَضًا فهو عرَض.

3. الّلا أدْرية: وهم من ينكر العلم بالثبوت والعلم بلا ثبوت ويزعم أنه شاكٌّ وشاكٌّ في أنه شاك وهلُمّ جرّا " نقلته بتصرف من شرح العقائد النسفية للتفتازاني.

قال السيد الشريف الجرجاني: السفسطة: قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته،كقولنا الجوهر موجود في الذهن، وكل موجود في الذهن قائم بالذهن عرض، لينتج أن الجوهر عرض." **كتاب التعريفات** ص99".

[58] قوله (الدهرية): وهم معطلة العرب(الدهريون) الذين عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاه الله عنهم ﴿ وما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ وهم أصـناف:1/ منكروا الخالق،2/ منكروا البعث والإعادة،3/ منكروا الرسـل (عباد الأصـنام). انظر (أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشـهرسـتاني، **الملل والنحل**، تحقيق أمير علي مهنا، علي حســـن فاعور، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1993م، ص583.582).

[59] (ق): ولا يرجع إلى شرع وهم الصابئة.

وإما أن يرى محسوساً ومعقولاً، وحدوداً وأحكاماً وشرعاً، ولا يرجع إلى كتابٍ محقَّق، وهم: «المجوس».

وإما أن يرى محسـوسـاً ومعقولاً، وحدوداً وأحكاماً وشـرعاً، ويرجع إلى كتاب محقَّق، ولا يرى نسـخًا[60]، وهم: «اليهود».

وإما أن يرى محسوساً ومعقولاً، وحدوداً وأحكاماً، وشرعاً ويرجع إلى كتاب محقّق، ويعترف بالنسخ[61]ولا يعترفُ بنبوّة المصطفى ﷺ وهم: «النصارى».

إما أن يرى محسوساً ومعقولاً وحدوداً وأحكاماً وشرعاً ويرجع إلى كتاب محقق،

ويعترف بالنسخ ونبوّة المصطفى ﷺ[62] وهم: «المسلمون».

فالمِلّيونَ والمنتحِلونَ على كثرتهم، ينحصرون[63] في ثمانية أصول، هم:

---

[60] في النسخة (ق): ولا يعترف بالنسخ.

لأن اليهود تدّعي أن الشريعة لا تكون إلا واحدة. وهي ابتدأت بموسى عليه السلام وتمت به. فلم تكن قبله شريعة إلا حدود عقلية وأحكام مصلحية. ولم يجيزوا النسخ أصلًا. قالوا: فلا يكون بعده شريعة أصلًا؛ لأن النسخ في الأوامر بداء، ولا يجوز البداء على الله تعالى.

(الشهرستاني، **الملل والنحل**، ص 249).

[61] وردت في النسخة (ق) باختلاف بسيط فقال: وإما أن يرى محسوساً ومعقولاً، وحدوداً وأحكاماً، وشرعًا ونسخًا، ويرجع إلى كتاب محقق ولا يعترف بنبوة المصطفى ﷺ، وهم النصارى.

[62] في النسـخة (ق): وإما أن يرى محسوسًا ومعقولًا وحدودًا وأحكامًا وشرعًا ونسـخًا ويرجع إلى كتاب محقق ويعترف بنبوة المصطفى ﷺ، وهم: المسلمون.

[63] وردت في النسخة (ق): فالمليون والمنتحلون على كثرتهم ينحصرون بحسب هذه القسمة في ثمانية أصول..

المسـلمون، والنصـارى، واليهودُ، والمجوس، والصـابئة، والفلاسـفة والدهرية، والسُّـوفسـطائية[64]، وهذا ترتيبهم.

وإنما قدّمنا المسـلمين[65] على النصـارى لأن الإسـلام قدّمهم، ولأن المسـلمين[66] يعترفون بجميع النبوات والنصارى ينكرون نبوة المصطفى.

وإنما قدمنا النصـارى على اليهود لأن النصـارى يعترفون بالنسـخ واليهود ينكرونه، وإنما قدمنا اليهود على المجوس لأن اليهود يرجعون إلى كتاب محقق والمجوس لا يرجعون إليه، بل إلى شُبهةِ كتاب.

وإنما قدمنا المجوس على الصابئة لأن المجوس لهم شبهة كتاب، والصابية[67] ليس لهم ذلك.

وإنما قدمنا الصابئة على الفلاسفة لأن الصابئة يرَوْنَ حدوداً وأحكاماً، والفلاسفة لا يرونها[68].

وإنما قدمنا الفلاسـفة على الدهرية لأن الفلاسـفة يعترفون بالمعقول والمحسـوس والدهرية لا يعترفون إلا بالمحسوس[69].

---

[64] في النسخة (ق): والسفسطائية...

[65] (ق) المسلمون.

[66] في النسـخة (ق): لأن الإسـلام قدمهم، ولأنهم يعترفون بجميع النبوات، والنصـارى ينكرون نبوة المصـطفى عليه الصلاة والسلام.

[67] في النسختين وردت باختلافات بسيطة، أحيانًا يكتبها بتسهيل الهمزة وأحيانًا بإثباتها وأحيانًا يجمع بينهما.

[68] (ق): والفلاسفة لا يرون ذلك.

[69] في النسخة (ق): وإنما قدمنا الفلاسفة على الدهرية لأن الفلاسفة يرون المحسوس والمعقول ويعتقدون وجود الصانع، والدهرية لا يرون غير المحسوسات.

وإنما قدمنا الدهرية على السوفسطائية[70] لأن الدهرية يرون المحسوسات، والسوفسطائية[71] ينكرون المحسوسات والمعقولات.

وهذه الأصول تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم فاسد من أصله، باقٍ على فساده وهم:

«المنتحِلون».

وقسم صحيح من أصله، غير باقٍ على صحته وهم:

«المِلّيون غير المسلمين».

وقسم صحيح من أصله، باقٍ على صحته وهم: «المسلمون».

وكل هذا يتبيّنُ[72] فيما بعد إن شاء الله.

وأيُّ أصلٍ تبيّن[73] فسادُه، سواءٌ كان الفسادُ طارئاً أو أصلياً لَزِمَ فسادُ فِرَقِه، لأنّ ذا الفرق أعمُّ من كل واحدٍ من الفِرَق، وفي فساد العامّ فسادُ الخاص، مثالُهُ: إذا تبيّن فسادُ دينِ النصارى لَزِمَ فسادُ رأي اليَعْقُوبيّ[74] والنِّسْطُوريّ[75] وغيرهما.

---

(70) في النسخة (ق): السفسطائية.

(71) في النسخة (ق): السفسطائية، وفي كل المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة تجدها مكتوبة في النسخة (ب) السوفسطائية بإثبات الواو، ومكتوبة في النسخة (ق) السفسطائية بحذف الواو.

(72) في (ق): هذه تُبيّن.

(73) في (ق): يتبيَّن.

(74) يعقوب كان راهبًا يسكن القسطنطينية، (الشهرستاني، **الملل والنحل**، ص270 . 271).

(75)نسطور الحكيم ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، قال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، (**المصدر السابق**، ص 269268).

لأن الفساد إنّما لَزِمَ من القَدْرِ المشترك بين الجميع، وهو القولُ بالتثليث[76] وإلهيّةِ المسيح[77] وغيرِهما.

وعلى هذا سائرُ الأصول وفِرَقها: فِرَقُ كلّ أصلٍ تابعةٌ له في الفساد[78].

وأيُّ أصلٍ تبيّن صحته لم تلزم[79] صحةُ فِرَقِه ولا فسادُها:

أما الأول: فلأنَّ العامّ لا يستلزمُ الخاصَّ، فلا يلزمُ من صحة العامِّ صحةُ الخاص.

وأما الثاني: فلأن فسادَ الخاصِّ قد يكونُ من جهة المخَصِّصَاتِ لا من جهة المتخصِّصات.

مثاله: الإسلام، فإنه لا يلزم من صحته صحةُ رأي المعتزلي الجَهْمِي[80] وغيرِهما.

لأن فسادَ أمرِهم لم يلزم من القَدْر المشترك الذي هو الإسلام، وإنما لَزِمَ من أُمورٍ ابتدعوها.

وإذا كان في[81] فسادِ العامّ فسادُ الخاص استغْنَيْنا عن إفراد فِرْقةٍ فِرْقةٍ من أصْلٍ أُصِّلَ بالذِّكر، فإنّ حُكْمَ الفِرْقة حُكْمُ أصلِها في الفساد.

---

[76] ﴿ لقد كفر الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة﴾، أي أحد ثلاثة آلهة، وهذا قول فرق من النصارى يسمون (النسطورية والملكانية) القائلين بالتثليث، وهم يقولون: إن الإلهية مشتركة بين (الله، وعيسى، ومريم) وكل واحد من هؤلاء إله، ولهذا اشتهر قولهم (الأب والابن وروح القدس). (الشيخ محمد علي الصابوني، **صفوة التفاسير**، دار السراج، الفاتح: إسطنبول، ط: الرابعة 1443هـ .2021م، ج1/ص491).

[77] وهؤلاء الذين قالوا إن مريم ولدت إلهًا هم اليعقوبية، زعموا أن الله حلّ في ذات عيسى واتحد به، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. (الصابوني، **المصدر السابق**، ج1/ص491).

[78] إذا فسد الأصل فسد الفرع.

[79] في (ق): يلزم.

[80] في (ق): المعتزلي ولا الجهمي.

[81] (في): لم أجد هذا اللفظ في (ق) ولعله سقط، أو أسقطه والمعنى تام.

وإذا لم يلزم من صــحّةِ العامِّ صــحةُ الخاصِّ ولا فســادُه فلا بُدّ من الإشــارة إلى فِرَقه، ولما كان الإســلامُ صحيحًا، ولا يلزمُ من صحته صحةُ الآراء العارضةِ له ولا فسادُها، فلا بدّ من كلامٍ كُلّيّ[82] على فِرَقه وذلك في «الفصل الخامس» من «الأصل الأول».

[82] (كلّي): لم أجد هذا اللفظ في (ق) ولعله سقط.

الأصل الأول: في الإسلام [83]

وفيه فصول:

الفصل الأول: في بيان نبوة نبينا محمّد ﷺ

كنا قد ذكرنا في خُطبة الكتاب، أنّ من المِلِّيّين والمنتحِلين مَن ينازِعُنا في نبوَّة نبينا[84] ورسالة رسولنا وهم: «الهنود» و«النصارى» و«اليهود».

أما «الهنودُ» فسيجيء حديثُهم في الفصل المختصِّ بالفلاسفة لأنهم من الفلاسفة.

وأما «النصارى» و«اليهود» فالكلام[85] معهم ببيان نبوته على مِنهاج المِلِّيّين ولهذا البيان ثلاثةُ[86] طرق:

طريقٌ بتقرير[87] معجزاته، وتحريرِ آياته ، ثم الاستدلالِ بها على نبوَّته، وطريقٌ بنقل آدابه وفضائِله، ومحاسنِ سننه، ودقائقِ شريعته، والاستدلالِ بها على نبوَّته.

وطريقٌ ببيان إعلامِ الأنبياءِ بنبوَّته، وإخبارهم عن رسالته، ولما كان السببُ الأكبرُ بوضع هذا الكتاب الإفصاحُ عن الإسلام عند أهل الكتاب، لا جرم اقتصرنا معهم في البيان على الطريق الثالث.

لأن أقوال الأنبياء وأخبارَ الرسل قد ألِفوها ووقفوا عليها وعرَفوها، لا يصعُبُ عليهم فَهمُها، ولا تنبو عقولُهم عن قَبولها.

---

[83] (الأول): سقطت من النسخة(ق).

[84] (نبيّنا): سقطت من النسخة (ق).

[85] في (ق): والكلام.

[86] في النسخة (ق): ثلاث.

[87] في (ق): بتقدير.

أمّا القرآن فأسرارُه ودقايقُه غريبةٌ من عقولهم، وطرُقُ فصاحتِه وبلاغتِه أجنبيةٌ عن ألسِنَتهم، قلَّ مَنْ يفهمها منهم، فضلًا مِن[88] أن يُحتجَّ بها عليهم.

وأما فضائلُه ﷺ[89] وسنَنُه، ومحاسنُ دينه ودقائقُ شريعته، فإنما يؤمنُ بها ويستعظِمُها مَنْ فُطِرَ عليها وأَلِفها، وتروّى فيها وعرفها.

أما العارِضُ المتردِّد، والمعارِضُ المتمرِّد، فيُستَمالُ بما عنده، ويُدرّجُ ممّا مَعَهُ، وإذا سمَتْ همّتُه إلى الاطلاع على شيءٍ من علوم التنزيل، وحدَّثته نفسُه بالوقوف على محاسن الإسلام من قِبَلِ البرهان والدليل، وأراد مريدٌ أن يخاطبهم في شيء من ذلك فعليه بكلام السّلف، فإنّهم تكلّموا في محاسن الإسلام وأحسنُوا وأطلقوا ألسنتَهم بفضائل سيد الأنام وأمْعَنُوا، وما بعد كلامهم كلامٌ، ولا فوق مرامهم مرام.

---

[88] من: سقطت من (ق).

[89] وسلّم: سقطت من النسخة (ب) وأثبتناها من (ق).

الفصل الثاني: في الاستدلال على نبوته من التوراة

وذلك من ثلاثة[90] مواضع:

الموضع الأول: قـــال في التوراة: إن إبراهيم دعا لإسماعيل عليهما السلام بالبقاء ليحمد الله ويُمَجّدَه، وإنَّ اللهَ اســتجاب دعوته فيه، وبشَّــره بأنَّه يُبَارِكُ عليه ويُنَميه ويُعَظمه، ويعطيه شــعباً جليلًا، ويُصَــيّرُه لأمَّةٍ عظيمةٍ[91].

وهذه الأمور لم تجتمع في إسماعيلَ ولا في أحدٍ من ذُرّيَّته إلا في محمَّدٍ ﷺ، فهو المخْبَر عنه بهذا الخبر.

فإن قيل، وقد قيل: إنَّ الإجابة إنما كانت بالمْلْكِ لا بالنبوَّة.

قلنا: هذا تأويلٌ فاسدٌ لثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ المْلْكَ الذي حصل له حصل بحقٍّ أم لا؟

والثاني باطلٌ، أما أولاً فلأنه حينئذٍ يكونُ ممنوعاً منه، ومسؤولاً عنه، ومعاقَباً عليه، ويمتنع الامتنان مع هذه الأمور.

وأما ثانياً فلأن عند اليهود يجبُ على الله مراعاةُ الأصلح، وليس من الأصلح إعطاءُ المْلْكِ بغير حقٍّ.

فالأوَّلُ حقٌّ ويَلْزَمُ أن يكون نبيَّاً:

---

[90] في النسخة (ق): في ثلاث.

[91]نصُّــه في ســفر التكوين: (وأما إسماعيل فقد سمعتُ لك فيه، ها أنا أباركُه وأُثمِرُهُ وأُكثِّرُه كثيرًا جِدًّا. اثنَيْ عشَــرَ رئيسًــا يَلِد، وأجعلُه أمة كبيرة). **سِفر التكوين،** التكوين 17.

ـــ قال الله تعالى في الجزء الثالث من السِّفر الأول من التوراة، مخاطبًا إبراهيم الخليل عليه السلام: " وأما في إسماعيل فقد قبلت دعاءك، هاأنا قد باركت فيه، وأُثمِره وأكثره جدًا جدًا "

(الإمام المهتدي السـموأل بن يحيى المغربي، **إفحام اليهود وقصـة إسـلام السـموأل،** ، تحقيق: الدكتور محمد الشـرقاوي، دار الجيل ـ بيروت، د.ت، ص115).

أما أولاً فلأنه إما أن يكون كما أَخبَر عن نفسه، وقد أَخبرَ عن نفسه بالنبوة والرِّسالة، وإما ألَّا يكون كما أَخبرَ، والثاني باطل، لأنه لا حقَّ مع الافتراء، لا سيَّما على الله تعالى، لا سيَّما في تغيير الشرائع والسُّنن، فالأَوَّلُ حقٌّ فهو نبيٌّ حق.

وأما ثانياً فإنه إنّما نال المُلْكَ بالنبوَّة، لولاها لما انقادَ إليه البشـــرُ، وإذا كان المُلْكُ قد حصل بحقٍّ فسببُ حصولِه حقٌّ، فدعواهُ حقٌّ فهو نبيٌّ حقٌّ.

الوجـــه الثاني من الوجوه الثلاثـــة: أنَّ إبراهيمَ لم يطلب لإسماعيلَ الملكَ، وإنما طلب له البقاءَ للتَّحميد والتَّمجيد، فالمطلوبُ شيءٌ والموعود به شيءٌ آخَر، ولا[92] يكون ذلك إجابةً، لأن الإجابة تكون مطابقةً للمســألة، فلم تكن الإجابةُ بالمُلْكِ بل بالنبوة، التي بها ومعها يَصِــحُّ التحميدُ والتمجيدُ؛ فهو نبيٌّ حقٌّ. والمُلْكُ حصلَ له ولأمَّته بشرَفِ النبوَّة وبركةِ الرسالة.

الوجـــه الثالث: أنَّ النمـــوَّ والبركةَ، والتعظيمَ والتبجيلَ، والشَّعبَ الجليل، والتَّصيير للأمة العظيمة، عنايةٌ بأمره، ورِعايةٌ بحاله، وتعظيمٌ لقَدْره، ويمتنعُ ذلك مع دعوى النبوَّةِ وعدمِها.

فهذا الخبرُ كيف قلَّبْتَهُ وجدْتَه دليلاً على نبوَّتِه، ولا يخفى ذلك على مَنْ شرَحَ اللهُ صدرَه للإسلام.

---

[92] في النسخة (ق): فلا.

الموضع الثاني: قال في التوراة:

«جاء الله مِن طُورِ سينا، وظهرَ بِسَاعِيرَ(93)، وعَلَنَ بِفارانَ».

والاستدلالُ منه أن يقالَ:

إنَّ المجيءَ وأخواتَها من صفاتِ الأجسام، وخواصِّ ذواتِ الأوضاع، والوَضْعُ والجِسْمِيَّةُ على الله مُحالٌ فهو محمولٌ على أنبيائِه ورُسُلِه، وشرائِعِه وسُنَنِه، أما «الطورُ» و «ساعيرُ» فمعروفان:

الأول منهما: هو الجبل الذي خاطب(94) الله موسى عليه، ومنه كان(95) مَظهرُ نبوَّته ومبدأُ رسالته.

والثاني منهما: هو جبل القدس، ومنه كان مظهر نبوَّة عيسى ومبدأ رسالته.

وأما «فاران» فهذا الاسم غريبٌ منَّا، فنُشير إليه بالقرائن الدالَّة عليه.

ونقول: قال في التوراة: إنَّ إسماعيلُ سكنَ بَرِّيَّةَ فاران، ونشأ بها وتعلم بها الرَّمي(96).

---

(93) في التوراة اسم لجبال فلسطين، وذكره في التوراة: جاء من سينا، يريد مناجاته لموسى على طور سينا، وأشرق من ساعير: إشارة إلى ظهور عيسى بن مريم، عليه السلام، واستعلن من جبال فاران: وهي جبال الحجاز، يريد النبي، عليه الصلاة والسلام، وهذا في الجزء العاشر في السفر الخامس من التوراة، والله أعلم.

(الإمام أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. **معجم البلدان،** تحقيق فريد الجندي، دار الكتب العلمية. بيروت، ج 3 / ص193).

(94) في (ق): كلَّم.

(95) من هنا: آخر اللوحة9 من النسخة (ب) وما بعدها ساقط إلى قوله: أولًا أولًا وهي بداية اللوحة9من (ب) وقد أثبتُّها من النسخة(ق).

(96) ورد في التكوين21: (وكان الله مع الغلام فكبِرَ، وسكن في البرِّيَّة، وكان ينمو راميَ قوسٍ، وسكن في بريّة فارانَ، وأخذت له أمُّهُ زوجةً من أرض مصر)."**سِفر التكوين**، التكوين21" وكذلك أورده السموأل المغربي في كتابه **إفحام اليهود**، ص119.

ومَنشـــأُ إسماعيلَ ومسكَنُه ومَرْباه وتعلُّمه الرَّمي إنما كان بالحجاز ومكة، ففـــارانُ إمّا الحجازُ وإمّا بمكّة. وأيَّهُما كان فلمْ يخرج من تلك النواحي، ولا من جميع المسْكونة، مَنْ يستحقُّ إقرانَه بموسى وعيسى فيما انفردا به عن باقي الخلق غير مُحمَّد ﷺ، فهذا الخبرُ يدل على إثبات النبوَّات الثلاثة دلالةً تتلازمُ فيها نبوَّاتهم، وتتلاحقُ فيها رسالاتُهم، يَلزمُ من إثبات أيِّها كان إثبـــاتُ الآخَرَيْنِ، ومن نفـــي أيِّها كان نفيُ الآخَرَيْن، ثم هذا البيانُ وإن أسفرَ عن نبوَّته بما لا يندفِعُ، فهو إذا تنزَّلَ على مراتبِ المتشرِّعين والشَّرائع ازداد بياناً، وازداد الناظرُ فيه استبصاراً وإيماناً، وطريقُ التنزُّلِ أنَّ للشَّرائع مَبدأً ووسطاً وآخِراً:

والمبادِئُ والأوائلُ أبداً تكونُ إشاراتٍ وتلويحاتٍ، وتكونُ خفيَّةً جدَّاً، ليس هذا في الشرائع فقط، بل وفي جميع الحِرَفِ والصَّنائعِ، ثمَّ تنمو وتظهرُ أوَّلاً أوَّلاً.

ولما كان موسى أولَ المتشـــرِّعين، والتـــوراةُ أوَّلَ الكُتُبِ، وشريعتُه أوَّلَ الشَّرائع، كانت شريعتُه إشاراتٍ وتلويحاتٍ، ولذلك لم يُصرِّح بأمرِ المعَاد، ولم يكشِفْ عن حقيقةِ الثَّوابِ والعقاب بحَسَبِ الأجل.

ولما كان عيسى ثانيَ المتشرِّعين، وكتابُه ثانيَ الكُتُب، وشريعتُه ثانيةَ الشَّرائع، كانت شريعتُه تصريحاً ولذلك أخبرَ عن أمر المعاد، وصرَّحَ به، وإن لم يُبْرِئِ العليلَ، ولم يشْفِ الغليلَ.

ولما كان مُحمّد صـــلى الله عليه وعليهما[97] ثالثَ المتشـــرِّعين وآخِرَهم، وكتابُه ثالثَ الكُتُب وآخِرَها. وشريعتُه ثالثَ[98] الشَّرائعِ وآخرَها، كانت شريعتُه تصريحاً[99] وتحقيقاً، ولذلك بَسَطَتْ حالَ السَّعادةِ والشَّقاوة، وكشفتْ عن النَّعيمِ والجحيم، والثَّوابِ والعقاب، ولما كان المجيءُ دون الظُّهُورِ، والظُّهُورُ دونَ الإعلانِ، كان المجيءُ مناسباً لموسى ولشـــرْعِه، ولذلك عبَّر عنهما بالمجيء، وكان الظُّهورُ مناسباً لعيسى

---

(97) في (ق): ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم.

(98) في (ق): ثالثةُ.

(99) (ق) تصريحًا وتلويحًا وتحقيقًا.

ولشـــرْعِه ولذلك عبَّر عنهمـــا بالظُّهـــور، وكان الإعلانُ مناسباً لمحمَّدٍ ولشـــرْعِه، ولذلك عبَّر عنهما بالإعلان، فالأدلَّة متظافرةٌ من كلِّ وجهٍ.

ولعلك تقول: قال الله تعالى: ﴿شرع لكم من الدِّين ما وصَّى به نوحاً ﴾[100]، ونوحٌ قبل موسى بألوفٍ من السّنين، فكيف يكونُ موسى أوَّلَ المتشرِّعين؟

وقيـــل: إنَّ الله تعالى أنزلَ مائة وأربع كُتُب كلُّها قبـــل التوراة إلا القرآن والإنجيـــل والزَّبور، فكيف تكون التوراة أوَّلَ الكُتُب؟

وعلى تقدير أنَّ التوراةَ أولُ الكُتُب فليسَ الإنجيلُ ثانِيَها ولا القرآنُ ثالِثَها، فإنَّ الزَّبُورَ قبلَ الإنجيل، فالإنجيلُ ثالثُها لا ثانيها، والقرآنُ رابعُها لا ثالثها.

ولِمَ قلتم بأنَّ الإعلانَ فوقَ الظُّهُورِ، والظُّهورِ فوقَ المجيء؟

والجواب:

أمَّا الآيةُ فالمرادُ بها إقامةُ الدين بالإيمان بالله والتوحيدِ له، وبما يُناسِـــبُ ذلك ممّا لا يجوزُ الاختلافُ فيه. ولذلك قالَ في تمام الآية: ﴿ ولا تتفرّقوا فيه ﴾، دونَ الحدودِ والأحكامِ التي يجوزُ الاختلافُ والتفرُّق فيها، فموسى أوَّلُ مَنْ شرعَ اللهُ على يدِهِ الحدودَ والأحكامَ، فالآيةُ غيرُ قادحةٍ في أنَّ موسى أوَّلُ المتشرِّعين.

وأمّـــا الروايةُ عن الكُتُب المذكورة فلا نُسلّمُ صحّتها، وعلى تقديرِ صحّتها فالمنقولُ هو الصُّحُفُ لا الكتب، ولذلكَ أضاف[101] التنزيلُ اليهودَ والنَّصارى إلى الكتُب، فقال مخاطبًا لهم:

---

[100] سورة الشورى، الآية13

[101] في (ق): انضاف.

﴿يا أهل الكتاب ﴾(102)، وأخرَجَ عنهم المجوسَ والمانَوِيَّة وغيرَهم من أهلِ الصُّـــحُفِ، فأوَّلُ الكُتُبِ في لســـانِ الشَّـــرْعِ هو التوراةُ، ولذلك أسنَدَ الشَّرْعُ الأوائلَ إلى الله تعالى، فقال: ﴿ إنَّ اللهَ خلَقَ آدمَ بيده، وكتبَ التوراةَ بيده ﴾(103)، مع أنَّ بيدهِ ملكوتَ كلِّ شـــيءٍ، وإنَّما أضـــافَهُما إليه لِكوْنِ الأوَّلِ منهما أوَّلَ البشرِ والثاني أوَّلَ الكُتُب المنزَّلة.

وأمّـا الزَّبورُ فهو كِنـايـةٌ عن جميعِ الكتـبِ المنَزَّلـة غير القرآن، ولـذلـك قـال التنزيـل: ﴿وإنَّـه لفي زُبُرِ لأوَّلين﴾(104). وعلى تقـديرِ أنَّ الزبورَ عَلَمٌ على كتـابِ داوُد فليس فيه حـدودٌ وأحكـامٌ، وإنَّمـا هو أخبـارٌ وأدعيةٌ، حُكْمُهُ حُكْمُ الصُّحُفِ، وكلامُنا في الكُتُبِ المتضمّنة للحدود والأحكام.

وأمّا كونُ الإعلانِ فوقَ الظُّهورِ، والظُّهـورِ فوقَ المجيءِ، فلأنّ الظُّهورَ هو الشُّعورُ، وقد يقع المجيءُ من غيرِ شُعورٍ به(105)، فقـد(106) يقعُ المجيءُ من غيرِ ظُهُورٍ، ثمَّ الشُّعور الذي هو الظُّهور قد يكونُ بشيءٍ يسيرٍ من المشْعورِ به لقليلٍ منَ الشاعِرِين(107)، والإعلانُ هو الشعورُ بأكثرِ المشْعورِ به أو بكلِّه لأكثرِ الشَّاعِرِينَ أو لكلِّهِـم، فكلَّما حصلَ الإعـلانُ حصلَ الظُّهور، وكلَّما حصـل الظُّهورُ حصلَ المجيءُ، من غيرِ عَكْسٍ فيهِما، فموسى أوَّلُ المتشـرِّعين، والتـوراةُ أوَّلُ الكُتُبِ، والإنجيـلُ ثانيها، والقرآنُ ثالثُهـا، والإعلانُ فوقَ الظُّهورِ، والظُّهورُ فوقَ المجيءِ، واندفَعَ الإيرادُ واستمرَّ الكلام.

---

(102) سورة آل عمران الآية 65، جزء من أية وتكرر النداء به 6 مرات في سورة آل عمران ومرة واحدة في سورة النساء و5 مرات في سورة المائدة.

(103) جزء من حديث رواه أحمد بن الحسـين، البيهقي، **الأسماء والصـفات**، ت: عبد الله بن محمد، مكتبة السـوادي، جدة، 1993م، ج:2، ص125، برقم: 692

(104) سورة الشعراء، الآية196

(105) به: سقطت من النسخة (ق).

(106) في (ق): وقد.

(107) في (ق): قد يكون بشيءٍ يسير من المشعور به أو بكلّه لأكثر الشاعرين أو لكلّهم.

الموضع الثالث:

قال في التوراة مخاطباً لموسى:

«سأقيم لهم نبيَّاً مثلَك من إخوتهم، وقيل: من إخوتك، وهو الأصح، أجعلُ كلامي على فمه»[108]

ووجه الاستدلال منه: تِبيانُ[109] المِثْليّة والأُخوَّة، وجعْلُ الكلامِ على فمه، ثمّ تركيب[110] الحُجَّة.

أمّـا المِثليّةُ فليس المراد بها مـن كلِّ وجه لأنَّ أحد المِثلَيْنِ إن لم يتميز عن الآخر فهو هو[111] لا مِثلُه، وإن تميز عنه فما به المماثَلةُ غيرَ ما به الممايزة.

وهــو أعنــي: ما بــه المِثليّةُ، لا يجوز أن يكون أمرًا مــا، أيَّ أمرٍ كان، وإلا لكانتِ الأشياءُ كلُّها متماثلة لاشتراكها في اســم الشــيء، وهو[112] أمرٌ ما، فالوجودُ والعدمُ والقديمُ والحادثُ وغيرُها متماثلةٌ، وحينئذٍ لا فائدة في التمثيل لأن التمثيل يفيد تخصيصًـا وتمييزًا[113]، وهذا لا يفيد شيئًا، فلا بدّ و[114]أن يكون أمرًا مختصًـــا بالمِثل والممَثَّل به، إمّا مطلقًا أو عند التمثُّل في ذات الممَثَّل، فالنبيُّ المخْبَر عنه يجب أن يكون

---

[108] ورد في **سفر التثنية**،الإصحاح18،العدد18، آية15: (يقيم لك الربُّ إلهُك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي، له تسـمعون). وهم يعدُّون هذه الآية إشـارة إلى المسـيح...، وحمله بعض أحبار اليهود على النبي شموائيل، وقد بسَـطَ الكلام في هذه الآية الحبر اليهودي السموأل وبيّن أنها من البشارات بسيدنا محمد ﷺ، انظر (السموأل المغربي، **إفحام اليهود**، ص 111،114، وذكرها في المنام الأول ص60،61، من الكتاب نفسه).

[109] هكذا وردت في (ق)، في (ب) وردت غير منقوطة.

[110] في (ق) تركّبت.

[111] سقطت من النسخة (ق).

[112] في (ق) هو.

[113] في (ق) تميزًا.

[114] سقطت من النسخة(ق).

مثلَ موسى فيما انفرد به موسى عن أنبياء بني إسرائيل، والذي انفرد به موسى هو السُّنّة المبتَدأة والشريعةُ المستقِلّة. فالنبيُّ المخبَر عنه صاحبُ سُنّةٍ مُبتدَأةٍ وشريعةٍ مستقلةٍ.

وأما الأخوَّة فالمرادُ بها: إما في النَّسَبِ أو في غير النَّسب: والأوَّلُ باطل وإلّا لكانوا إخوةَ موسى من أبَوَيه أو من أحدهما، وموسى لم يُخلِّف أخاً، أو من أبٍ بعيد مثل أن يكونوا أولادَ[115] يعقوبَ أو إسحاق أو إبراهيم أو غيرهم، فأنبياءُ بني إسرائيل كلُّهم إخوةُ موسى، وجميع بني إسرائيل إخوة موسى لأنهم كلُّهم أولادُ هؤلاء، فلَمْ تُفِد الإضافةُ شيئاً.

فالثاني[116] حقٌّ، فأخوةُ[117] موسى الذين تساوَوْا معه في الرُّتبة، كما يقال: «فلان ما له أخ»، فيما انفرد به من كرمٍ وعلمٍ وشجاعةٍ وغيرِ ذلك، وكما يقال: «فلانٌ ما له أخٌ إلّا فلان»، أي: ليس له من يساويه في رتبته، التي هي الكرم أو الشجاعة أو ما عسى أن تكون[118] إلّا فلان، وهو يرجع إلى المماثلةُ التي هي الانفراد بالسنّة المبتدَأةِ والشريعةِ المستقِلّة.

وأما «أجعلُ كلامي على فمه» فالمراد به أنه يخاطب البشر بكلام الله، لا بواسطة بشريٍّ آخر، وقولنا: «لا بواسطة بشري آخر» احترَزْنا به عن أنبياءِ بني إسرائيل غير موسى، فإنَّهم كانوا يُخاطِبون بني إسرائيل بكلام الله، ولكن بواسطة موسى، وإذا[119] كان المراد بقوله: «أجعل كلامي على فمه» أنه يخاطبُ البشر بكلامٍ من الله إليه لا بواسطة غيره من البشر، يجبُ أن يكون صاحبَ سنّةٍ مبتدَأةٍ وشريعةٍ مستقِلّةٍ.

---

(115) في النسخة (ق) أو ولد.

(116) في النسخة (ق) والثاني فالثاني.

(117) في النسخة (ق) فإخوة.

(118) في النسخة (ق) يكون.

(119) في النسخة (ق) فإذا.

فقوله: «مثلك» و«إخوتك» و«أجعل كلامي علـــى فمه» ثلاثتُهـــا ترجع إلى المماثلة التي هي الانفراد بالسّنَّة المبتدَأة والشريعةِ المستقِلّة، فالنبيُّ المخبَر عنه بهذا الخبر إمّا محمّدٌ أو غيرُه:

والثاني باطلٌ لأنه ما جاء بعد موسى صاحبُ سنّةٍ مبتدأةٍ وشريعةٍ مستقِلّةٍ غيرُه، فتعيَّنَ الأوَّلُ فالمخبَر عنه بهذا الخبرِ هو محمّد ﷺ.

فإن قيل: المسيحُ كان صاحب سنّةٍ مبتدأةٍ وشريعةٍ مستقِلّةٍ، فَلِمَ لا يجوزُ أن يكونَ المخبرُ عنه بهذا الخبر هو المسيح؟ قلنا: لا نُسلّمُ أنَّ المسيح كان صاحب سنّةٍ مبتدأة وذلك لأنه كان يحكمُ بالتوراة ويتعبَّد به[120]، وإلى اليوم النّصارى يتعبَّدون بالتوراة، وهو[121] من جملة الكتب التي يقرؤونها في الكنيسة، حتى إذا قيل للنصارى كيف ترون القتلَ والضرب وغيرهما والمسيحُ نهاكم عـــن الغضب فضلاً عن الضرب والقتل؟

كان جوابهم: إنّا نعمل بالعتيقة والشَّريعة القديمة.

فثبت أنَّ عيسى كان منقاداً لموسى، وتابعاً لـــه، وعاملاً بالتـــوراة فلم يكن صاحب سنّةٍ مُبتدأةٍ وشريعةٍ مستقِلّةٍ، وكونُه تصرَّفَ في السُنَّة وغيَّرَ بعضَ الأحكام لا يجِبُ أن يكون صاحب سنّـــةٍ مُبتـــدأةٍ، فـــإنّ «حِزْقِيـــلَ» غيَّرَ بعـــض أحكام التوراة، وهـــو قِـــســـمةُ الأرض بين الأسباط فإنَّ التوراةَ جَعَلَ شرْقِيَّ الشريعة[122] لتسعة أسباطٍ ونصْفِ سِبْطٍ، وغَرْبِيَّه لِسِبْطَينِ ونِصْفِ سِبْطٍ، وحِزْقيلُ أزالَ الجميع، وقسَم بين الجميع ومع هذا لم يكن صاحبَ سنّةٍ مبتدَأةٍ وشريعةٍ مستقلة، فكذا[123] المسيح.

---

[120] في النسخة (ق) بها.

[121] في (ق) وهي.

[122] المقصود في الشريعة هنا معناها اللغوي وهو مورد الماء الجاري.

[123] في النسخة (ب) فكذى وأثبتُّها من النسخة (ق).

وعلى تقدير أنه صاحب سنّـــــةٍ مُبتدأةٍ وشريعةٍ مستقلّةٍ[124] فإنه لا يجوز أن يكون هو المخبَر عنه بهذا الخبر. وإلا لكان مثلَ موسى كما في الخبر، ولا يجوز أن يكون مثلَ موسى لأنه من بني إسرائيل، وقال في التوراة: «لا يقومُ في بني إسرائيل مثلُ موسى، ومثلُ موسى لا يقوم في بني إسرائيل» فالمخبَر عنه بهذا الخبر هو مُحمَّد ﷺ .

وأيضـاً أجمعوا على أنَّ المخبَر عنه بهذا الخبر يجب أن يكون من بني إسـرائيل أو من بني إسماعيل، والأوَّلُ: هو قول النصارى واليهود، والثاني: هو قول المسلمين.

ولا يجوز أن يكون من بني إسـرائيل، سواءٌ كان هو المسيحَ أو غيرَه، وإلّا لكان مثلَ موسـى كما في الخبر الأوَّل، ولا يجوز أن يكون مثل موسى كما في الخبر الثاني فلا يجوز أن يكون من بني إسرائيل

فالنبيُّ المخبَر عنه يجبُ أن يكون من بني إسماعيل لأنَّ الخبر يمنعُ الجمْعَ والخُلُوَّ، وما جاء من بني إسماعيل مَنْ هو بهذه الصّفة غيرُ مُحمَّد ﷺ.

واعلم بأنَّ إبراهيم كان له أولاد كثيرة غير إسماعيل وغير إسحاق، وما احتفلتِ التوراة إلّا بهما، وما ذلك إلا لسـرٍّ فيهما، هو أنَّ أحدَهما، وهو إسـحاق، أبو أنبياءِ بني إسـرائيل، وثانيهما، وهو إسماعيلُ، أبو إمام المرسلين، وخاتم المنذِرِين.

ومن نظر بعين الإنصـاف، وجانب طريق التعصُّـب والاعْتِسـاف، ترَك المنازعة في ذلك، ورجع إلى الحقِّ والحقُّ أحقُّ أن يُرجَعَ إليه.

---

[124] في النسخة (ق) كُتبت في الحاشية: وعلى تقدير أن يكون صاحب سُنّةٍ مستقلة وشريعة مبتدأة.

الفصل الثالث: في الاستدلال على نبوته من الإنجيل

وذلك من موضعين:

أحدُهما قولُه:

«إذا جاء الفارَقْلِيطُ[125] من عند أبي روح القدُس الذي يخرج من الآب فهو يشهد لي، وأنتم تشهدون لي أيضاً لكينونتِكم معي من أوَّل أمري»[126].

وقوله: «أسألُ[127] إلى أبي يعطيكم فارَقْليطاً آخر».

وقوله: «ما لم أذهبْ لم يأتِ الفارقليطُ، فإذا جاء وبَّخَ[128] العالمين على الخطيئة، ولا يقول من تلقاء نفسه، ولكن ما يسمعُ يكلمهم[129] به».

هي أربعة ألفاظ[130]، وهذا الفارقليط قد جاء باتفاق النّصارى، إلا أنهم يقولون: إنه «روح القُدُس»، وهو ثالث الأقانيم، وستعلمُ شرح الأُقنوم[131] في موضعه.

ونحن نقول: هو مُحمّد ﷺ.

---

[125] هذه الكلمة الفارقليط (وردت في الإصحاح الخامس عشر من **إنجيل يوحنا**) أو كما جاء في لفظ من الإنجيل البارقليط والتي أبدلوها في نسخ أخرى بالمعزي وهي تعني على الصحيح الذي له الحمد الكثير وهذا يوافق أفعل التفضيل من الحمد يعني أحمد أو محمد فهي تشير إلى ذكر النبي ﷺ في الإنجيل صراحةً لذلك حرّفوها في كثير من النسخ إلى المعزي.

[126] في النسخة (ق) أمرٍ.

[127] في (ق) اسل.

[128] في (ق) بروح.

[129] في (ق) سمِعَ كلّمهم.

[130] ذكر ثلاثة من هذه الأربعة.

[131] في (ق) الأقنيم.

وقولُ النصارى باطل، وإلا لكان رســـولاً ومُرسِلاً معاً لأنَّ ذات الرسول الذي هو روح القدُس هو ذاتُ المرسِـلِ الذي هو الآب[132]، وإنما اختلفا بالأُقنومية، ولكان الآبُ خارجاً عن نفســه لقوله: «يخرج من الآب»، والذات واحدة فالآب خارجٌ عن نفســه، ولكان «آخَرَ» لقوله: «فارقليطاً آخَر»؛ فروح القدس أكثرُ من واحدٍ، أو[133] يكونُ الشــيءُ مغايراً لنفســه، ويكون «هو» و«آخر» معاً، ولكان[134] هو «الابــن» لأن ذاتَ الثلاثة واحدةٌ[135]، ويكون الابنُ شاهداً لنفســه لقوله: «يشهد لي»، وليست ذاتُه غير ذات الابن، فالابنُ هو الشاهد لنفسه، ولكان مجيء الفارقليط مشروطاً بانطلاق ذلـــك الفارقليط بعينه لقوله: «ما لـم أذهب لـم يـأت»، وذاتُ الذاهـب هـي ذاتُ الآتي، وإن[136] تغايرا بالأُقنومية فقط، فالشيءُ مشروطٌ بنفسه.

فالفارقليطُ[137] المخبَر عنه ليس هو روح القدُس، وما جاء من عند الحقّ إلى الخلق، وأخبرهم بالحــوادث والغُيوب، ووبَّخَهم[138] على المعاصي غيرُ الأنبياء عليهم السلام فالفارقليطُ نبيٌّ.

وما جاء بعد عيســى من الأنبياء من تقدَّم مثلُه، وبشّــر وأنذر، ووعد وأوعد، وأَعْلَمَ بالحوادث وأخبر عن الغُيوب، وشـهد للمسيح وأمِّهِ بالبراءة عن ما نُسِب إليهما، ودفعَ عنهما بهتـــان اليهود، وكذَّب مقالة

---

[132] ذكر في حاشية النسخة (ب): والذي ينبغي أن تعرف هاهنا هو أنّ ذات الآب والابن والروح واحدة.

[133] سقطت من النسخة (ق).

[134] في (ق) ولكن.

[135] يسميه النصارى الثالوث الأقدس يعتقدون بأنّ الرب هو في الجوهر واحد، لكنه ذو ثلاثة أقانيم(أشخاص)، وهذه الأقانيم هي الأب والابن والروح القدس وذلك بعد أن دخل الديانة النصرانية التحريف فأتوا بما لا يقبله عاقل وبما يحكم العقل عليه بأنه مستحيل في نفسـه، فيقولون: الآب شـخص والابن شـخص والروح القدس شـخص وهم ليسـوا ثلاثة أشخاص بل شخص واحد، ويقولون أيضا الآب إله والابن إله والروح القدس إله وليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد...

[136] في (ق) وإنما.

[137] في (ق) والفارقليط.

[138] في (ق) وبّخهم.

النصارى بإلهيّة المسيح، وأخبر عنه بالنبوة والرسالة غير محمد ﷺ فهو «الفارقليطُ» المذكور عند النصارى، و «الكوكبُ الدُّرِّيُّ»، المذكور[139] عند اليهود، و «نبيُّ آخرِ الزَّمان» عند المسلمين.

الموضعُ الثاني من الإنجيل:

قولُه: «إيلُ مُزْمِعٌ أن يأتي»، و«إيل» هو الإله[140]، وإتيانُه مثلُ مجيئه كنايةٌ عن أنبيائه ورسله، وما جاء بعد عيسى نبيٌّ غيرُ مُحمّد ﷺ ف«إيل» إشارةٌ إليه، وقالت النصارى: «إيل» هو روح القدس، وهذا قولٌ فاسد، لأنَّ روح القدُس عندهم هو الأُقنومُ الثالث، وهو إله عندهم والإله لا يجيء ولا يروح، وعندنا هو صفة من صفات الحقِّ لا تُفارِقُ موصوفها.

فعلى كلِّ تأويل وتقدير «إيل» يجب أن يكون محمّداً عليه السلام[141]، وهو المطلوب.

---

[139] سقطت من النسخة (ق).

[140] في (ق) الكلمة.

[141] في (ق) صلى الله عليه وسلم.

الفصل الرابع: في الاستدلال على نبوته من الزَّبور

وذلك من ثلاثة مواضع:

الموضع الأول:

قال في الزبور: «اللهم ابعث جاعل السُّنَّة يحيا[142] يُعلِمُ الناس أنه بشر».

معناه: أنَّ الذي ترسلُه رسولاً، وهو عيسى، ويجعلونه إلهاً، وهم النّصارى، ابعث إليهم من يُعلِمُهمْ أنه بشر وليس بإله، وما جاء بعد المسيح من أَعلَمَ بأمره وكشف عن حاله غيرُ محمَّد صلى الله عليه وسلم[143]، وهذا ظاهر لمن شرح الله صدره للإسلام.

الموضع الثاني:

قال[144]: «تَقلَّد بالسّيف فإنّ بهاءَك وحمدك الغالب، واركب كلمة العدل فإنّ ناموسك وشرائعك مقرونةٌ بهيبة يمينك».

هذه الأوصاف هي لصاحب سنة مبتدَأة وشريعة مستقلة، وما جاء بعد موسى من هو بهذه الصفة إلا إمّا المسيح أو محمّد، ولا يجوز أن يكون المراد به المسيح لأنَّا بينّا أنّ المسيح كان عاملاً بالتوراة تابعاً لموسى كيف لا وقد قال في الإنجيل: «ما جئتُ مبطلاً ولكن جئت مُكْمِّلاً».

وعلى تقدير أنه صاحب سنة مبتدأة فإنه لم يتقلّد بالسّيف، وليس ناموسُه وشرائعُه مقرونة بهيبة يمينه، وما خرَّتِ الأمم تحته بل أرذلُ الأمم وأذلُّ الطوائف الذين هم اليهود، صلبوه على زعم المِلّتين فالموصوف بهذه

---

[142] في (ب) نجيًا وأثبتُّها من (ق).

[143] وسلّم: سقطت من النسخة (ب) وأثبتّها من(ق).

[144] (ق) فيه.

الصفات هو محمّد عليه السلام[145] فإنه هو الذي تقلّد بالسّيف وقاتل على الدين وخرَّتِ الأمم لنبوته وسلطانه وأزال الله به ملك كسرى وقيصر وخضعت له الرقاب وذلّت له الأمور الصعاب، وهذا ظاهر لمن كشف الله عن بصيرته.

الموضع الثالث:

قال فيه: «ويحوزُ من البحر إلى البحر ومن لدن الأنهار إلى منقَطَعِ الأرض، وإنه لتخِرُّ أهل الجزائر بين يديه ويلحسُ أعداؤه التُراب وتأتيه ملوك الفرس وتسجد[146] له، وتدين له الأمم صاغرةً بالطاعة».

ولا يمكن حملُ هذا الخطاب على غير محمّد عليه السلام[147] لأنه ما ملك أحدٌ الأنهار الأربعة، ولا من لدنها إلى منقطع الأرض إلا هو وأمتُه.

أما موسى وقومُه فما تجاوز ملكُهم الشامات[148] ولا يمكن حمل هذا الخطاب على موسى لأنه إخبار عمن يجيء لا عمّن جاء وموسى ممن جاء فإن الخطاب بعده.

وأما عيسى والنصارى فانفردوا بزاوية الشمال.

ومحمد وأمته حووا ما حواه موسى وقومُه، وملكوا جميع ممالك الفرس وأكثر ممالك العالم، وجميع ممالك النصرانية حتى كرسِيُّها التي هي الرُّوميّة الكبرى ملكها المسلمون ستين سنة.

---

(145) ف النسخة (ق) صلى الله عليه وسلم.

(146) (ق) تخِرُّ.

(147) (ق) صلى الله عليه وسلم.

(148) المقصود بلاد الشام.

نعم، القُسطنطينيةُ كانوا يحملون إليهم[149] الخراجَ فأمسكوا عنهم، وتارين[150] لم يصلوها[151] لِتَحصُّنها بالبحار والجبال وما سوى ذلك ملكوها، ولَحَستْ أعداؤه التُّراب بأخذه ممالكَهم وأموالهم، وما انقادت ملوكُ الفرس إلا له ولإبراهيمَ عليهما[152] السّلام، وما دانت بغير دينهِما.

أما اليهود فما برحوا تحت قهر الرُّوم، ودهَمَهم بُخْتُ نَصَّر[153] بعساكره وخرَّب أرضهم وقتل رجالهم وسبى ذراريَّهم، وأما النصارى فما زالوا يحملون الخَراج إليهم خوفاً من بأسهم ورهبة من سلطانهم، وبالجملة: ما ملكتِ النصرانية أرض الفرس، ولا خضعتِ الفرسُ لهم ولا دانتْ بدينهم.

فالمخبَر عنه بهذه الأخبار هو مُحمّدٌ ﷺ.

---

(149) في النسخة (ق) إليها.

(150) رسم الكلمة مشتبه في النسختين وقراءتها أقرب ما تكون ل تارين وقد يكون المقصود بها تورين وهي مقاطعة فرنسية وقعت قربها معركة بلاط الشهداء، وعندها توقف الفتح الإسلامي في أوربة الغربية.

(151) (ق) لم يصلوا إليها.

(152) (ق) عليه.

(153) هو أحد الملوك الأربعة الذين حكموا الأرض منهما اثنين مؤمنين (سيدنا سليمان وسيدنا ذو القرنين) والاثنين الآخرين كافرين هما (نمرود وبخت نصر) وكان ملكًا على بلاد بابل في العراق اقتحم بيت المقدس وكانت عاصمة لبني إسرائيل وخرّبها وقتل فيها الكثير.(أحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تح: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية. بيروت، 2009م، ج: 2، ص: 674).

الفصل الخامس: في الاستدلال على نبوته من كلام أنبياء بني إسرائيل والكلام على الإسلام وفرق المسلمين على طريق كلّيٍّ

أما ما ورد من ذلك في كلام شَعْيَا فقولُه:

«قيـــل لي: قم نظَّـــاراً فانظر ماذا ترى فخبّرتُه[154] وقلتُ[155]: أرى راكبَيْن مقبلين، أحدُهما على حمار والآخر على جمل يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامُها».

واعلمْ بأنَّ هذا ليس إشارة إلى الركوب كيف كان ولا إلى راكبين كيف كانا فإنّ أكثر الناس يركبون الحمير والجمال، وإنما هو إشارةٌ إلى راكبين لهما نبأٌ وشأن وبيانٌ[156] وبرهان، وباتفاقٍ منّا ومن اليهود والنصارى أنَّ راكبَ الحمار هو المسـيح فإن اليهود وإن كانوا ينكرون المسـيح الذي جاء فإنهم لا ينكرون المسـيح، فإنه عندهم يجيء، فراكبُ[157] الجمل هو محمّدٌ:

أما أولاً: فلأنه أَشـــهرُ بركوب الجمل من المســـيح بركوب الحمار لأنه من العرب، والعربُ عُرِفوا بركوب الجِمال، والمســـيح لم يركب الحمار إلا مرةً واحدةً، رُكوباً واحداً، ومحمّدٌ ما زال يركب الجمال. فالأخبار ركوب الجمل: إما لأجل العادة المألوفة والقاعدة المعروفة، وقد تقدم فسادُه، وإما للأمر الثابت لرفيقه[158] المخبَر عنهما بهذا الخبر وهو حق فمحمد نبيٌّ حقٌّ.

وأما ثانياً: فلأنَّ به سقطت ملوك بابل وأصنامها فإنه وأمته أسقطوا أصنامهم وسلبوا عنهم سلطانهم.

---

(154) سقطت من النسخة (ق).

(155) في (ق) فقلت.

(156) سقطت من (ق).

(157) في (ق) وراكب.

(158) في (ق) لفريقه.

فدلالـة هـذا الخبر على مجيء المسيح من وجهٍ واحد، هـو ركوبه الحمار، ودلالتُه على محمدٍ من وجهين: أحدُهمـا: ركوبُه الجمل، وقد تسـاويا في ذلك، والآخر: سـقوطُ بابل وأصنامها به، وقد زاد على المسيح بذلك، فدلالة هذا الخبر على مجيء محمد أقوى من دلالته على مجيء المسـيح، ومما يدل على نبوّتهما ترتُّبهما[159] في الخبر والمجيء، فإن المسـيح في الخبر قبلُ، وفي المجيء قبل، ومحمد في الخبر بعد وفي المجيء بعد، فوافق هيئةُ المجيء هيئةَ الخبر. وهذا بيان قوي لا لأن الواو تقتضي الترتيب كما ظن بعض الناس ذلك، بل لأنَّ أحدَهما وهو المسيح، لما كان زمـان مجيئه أقرب قـدِّم في الخبر وتقدم هو في المجيء، والآخر وهو محمد، لما كان زمانُ مجيئه أبعدَ أُخِّر في الخبر وتأخَّر هو في المجيء، فالأدلة متظافرة من كل وجه.

وقوله:

«سـتمتلئ البادية من ولد قِيدارَ يُسـبّحونَ ومن[160] رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة ويُلبُّون بتسبيحه في البرِّ والبحر». و«قيدارُ»: جَدُّ العرب[161]، و«البادية» : باديـة العـرب، وتسبيحُهم معروف و مناداتُهـــم من رؤوس الجبال»: تلبيتُهم في الحجِّ، و«كرامتُهم لله»: توحيدُهم له، ونفيُ الشرك عنه، و«تلبيتُهم في البرِّ والبحر بتسبيحه»: إشارةٌ إلى الحُجّاج وإتيانِهم إلى الحجِّ في البرِّ والبحر.

وقولُه:

«سُرِّي واهتزِّي أيّتها العاقر التي لم تلدي وانطقي بالتسبيح وافرحي فإنَّ أهلكِ يكونون أكثرَ من أهلي».

---

[159] في النسخة (ق) ترتيبهما.

[160] في (ق) من بدون واو.

[161] قيدار هو ثاني أبناء إسماعيل بن النبي إبراهيم عليهما السلام يُنسب إليه العرب العدنانية، ومن نسله عدنان وولده معد.(صفي الرحمن، المباركفوري ـ **الرحيق المختوم**، د.ت، دار إحياء التراث ـ بيروت، ص: 14).

هـذا خطاب بلسان الحال من القدس لمكة، وإنّما قـال: «أيتها العاقر» لأنّ العاقرَ[162] هو الحيوان الذي لا يحبل، سواءً كان إنسانًا أو غيرَه، فاستعارَ هذا الاسم لمكة لأنها أشبهتِ الحيَوَان الذي لا يحبل لعدم البعث فيها، فأحلَّ القدسَ محلَّ ذات الحَبَل للبعث فيها، وأحلَّ مكة محلَّ العاقر لعدم البعث فيها.

وأما ما ورد في ذلك من كلام حِزقيلَ[163] من قصـةٍ ذَكَر فيها عِزَّة[164] اليهود، شـبَّههم بكَرْمة قُلِعت بالسُّخطة فأحرقتِ السمائمُ ثمرتَها، فعند ذلك غُرِس غرسٌ في البَدْو، وفي الأرض المهملة العطشى[165] فخرجت من أغصانها الفاضلة نار، فأكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب، وليس الأرضُ المهملة العطشى[166] غيرَ برِّية العرب، ولا الغرسُ غير محمّدٍ صلى الله عليه وسلم[167]، فإنـه مـا ظهر من البرِّية من له بيـانٌ وبرهان غيرُه، وبـه أخْزى[168] اللهُ اليهودَ وأذلّهم، وعجَّزهم في القول والفعل، وأبانَ عن فضائِحهم، وأَفحصَ عن رذائلهم.

وفي قوله: «لم يوجد فيها قضيب» سـرٌّ، هو أن القضيبَ كان سرَّ الملكِ في بني إسرائيل ولذلك قال يعقوب عليه السّلام عند وفاته: «لا ينقطع من يهوذا القضـيب، ولا من نسـله قائد حتى يأتي إلهُ يعقوب»، وقولُه: «لم يوجد فيها قضيب» إشـارةٌ إلى زوال ملك اليهود وممالِكِهم، وبعض ملوكهم وإن زالوا بالنصرانية فالبعضُ الآخر إنما زالوا بمحمّدٍ عليه السّلام.

---

[162] سقطت من النسخة (ق).

[163] حزقيل ودانيال وأرميا طبقًا للتوراة التي بين أيدي اليهود: هؤلاء الثلاثة أنبياء وتنسب إليهم أسفارًا بأسماءهم: سفر حزقيل وسفر دانيال وسفر أرمياء، انظر: (**التوراة: تاريخها وغاياتها**، ترجمة وتعليق سهيل ديب، دار النفائس، ص25،39،40).

[164] في (ب) عزّة، وفي (ق) عره، أثبتُّها غِرّة ويُحتمل أن تكون عِزّة.

[165] في (ق) العطشاء.

[166] في (ق) العطشاء.

[167] سقطت من النسخة (ب) وأثبتُّها من (ق).

[168] في (ق) أخّر الله اليهود.

وإتيان إله يعقوب كنايةٌ عن الشّـرائع، كما تقدم غيرَ مرَّةٍ، وأما ما ورد من كلام دانيال عليه السـلام[169] فقولُه: «جاء الله من اليمن والتّقديس من جبل فاران».

و«فاران» قد تقدم أنه الحجاز أو مكة، وأيّاً ما كان فإنّه ما[170] جاء من تلك النواحي غيرُ مُحمّد ﷺ

وتفسـير المجيء قد عرفتَه، وأما ما ورد من كلام حَبَقُّوق فقولُه: سـيّدٌ يجيء من اليمن ومقدِّسٌ من جبل فاران، يعطي السّـماء بهاءً، وجهُهُ مشـرِقٌ كإشـراق النّور يسـيرُ الموتُ بين يديه يمسـحُ الأرض ويكذِّب الشعوب ويزلزل أقطار الأرض وجبال العالم الشّامخة».

وهذه المعاني وهـذه الصفات لم تجتمع إلا في محمد ﷺ فإنه هو الذي أتى مـن مـكـة، وهي يمانية، وهو الذي أتى من جبـل فاران وفاران قـد عرفته «أعطى السّماءَ بهـاءً» بتحويل الإشارة إليها بعد الإشارة إلى الأصنام الموضوعة على وجه الأرض، وامتلأتِ الأرض من أمته وحمده وحمدهم.

و«أشـرقتِ الأرض بنور وجهه»: فما كان في الصـنف النبوي أحسـنُ منه وجهاً إلا إن كان يوسُـف الصّدِّيق[171].

و«سـار الموت بيـن يديه» فأظهـره الله على الجيوش والعساكر والملوك والممالك، ومسح الأرض وطافها وكذَّب الشعوب والقبائل، وقد جاء من هذا شيء كثير..

---

[169] سقطت من النسخة (ب) وأثبتُّها من (ق).

[170] أثبتُّها من النسخة (ق)، في النسخة (ب) فما.

[171] ثبت أنّ سـيدنا محمد ﷺ، أُعطي الحُسـن كلّه، ولكن هذا الجمال النبوي متوّج بأمرين عظيمين: الأول: الهيبة الجلاليّة، والثاني: النور الضيائي، ولذلك لم يفتتن به من رآه، بخلاف يوسف عليه السلام، فإنه مع كونه أُعطي نصف الحُسن إلا أنه لما رآه النسوة قطعن أيديهن وقلن: حاشَ لله ما هذا بشرًا...

(العلامة محمد بن علوي، المالكي ـــ **محمدﷺ الإنسان الكامل**، ت: أحمد بن محمد بن علوي المالكي، دار السنابل ـ دمشق ـ سورية، 2019، ص27).

وقد تكلّمنا في هذا الكتاب مع أهل الكتاب على نبوة نبينا بما يوافق نصوصهم ويطابق أصولهم، وبيّنّاها بياناً لا يُقابلُ بالإنكار ولا يُدافَع بالظُّنون والأفكار، إلّا إن كان المنابِذ من[172] المستبدِّين لا من المستمِدِّين، ومن المنتحلين لا من المِلّيّين فإنّ هـذا البيانَ لا يُقنعُهم، وسيجيء الكلامُ معهم بما يُفحمهُم في «الأصل» المختصِّ بالفلاسفة، ونكون قد بيّنّاها عند الفريقين.

وأما الإسلامُ لغةً: فهو الإقرار باللسان، وشرعاً[173]: هو[174] الإتيانُ بكلمتي[175] الشهادة إقراراً باللسان وتصديقاً بالجَنان، وقَبولُ كلِّ ما جاء به محمد ﷺ، وصحَّ عنه.

فمن أنكر من أهل الشهادتين شيئاً ثبت بالإجماع أو بنصٍّ لا يقبلُ التأويل[176] فقد مرَق من الدِّين، سواءٌ كان الإنكارُ بظاهره أو به وبباطنه، إلا إن أنكر بظاهره مُكرَهاً وقلبُه مطمئنٌّ بالإيمان، ومن أنكر شيئاً من ذلك بباطنه دون ظاهره فقد خرج عن الإسلام الشرعيِّ، وبقي له الإسلام الُّلغويُّ.

هذا حكم أهل الشهادتين، أما من لم يُقرَّ بالشهادتين، ولم تبلغه الدعوة، فلا يُحكَم عليه بالعذاب لقوله تقدَّست أسماؤه!: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا»[177]، ولقوله: «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[178].

---

[172] سقطت من النسخة (ق).

[173] الإسلام لغةً: مطلق الانقياد، يقال: أسلمت الدابة واستسلمت بمعنى انقادت، واصطلاحًا: الانقياد إلى ما جاء به النبي ﷺ، مما عُلم ضرورة... (الشيخ أحمد بن محمد المالكي، الصاوي ـــ **شرح الصاوي على جوهرة التوحيد**، تح: الدكتور عبدالفتاح البزم، دار ابن كثير. دمشق، 2014، ص131).

[174] في (ق) فهو.

[175] في (ق) بكلمة.

[176] في (ق) الإنكار.

[177] سورة الإسراء، الآية15

[178] سورة النساء، الآية165

وإن بلغته الدعوة وأصـرَّ على الاختلاف، واسـتمرَّ في الخلاف فهو كافرٌ معاند وضـالٌّ مضـادِد[179] ولو كان يوحّدُ الله تعالى لقوله[180]: «ومن يبتغ غير الإســلام ديناً فلن يقبل منه»[181]، ولقوله: «إن الدين عند الله الإسلام»[182].

ثـم هـذا الكافرُ إن كان من أهل الكتاب أو من له شبهة كتاب وبذل الجزية وأطاع، تُرِكَ في دار الإسلام وإن لم يكن له كتاب، ولا له شـبهةُ كتاب، فليس إلا الإسـلامُ أو السـيف، وسـيجيءُ: فسـادُ كلِّ رأيٍ يخالف الإسلام. وهذا آخرُ «الأصل الأول».

---

[179] في النسخة (ق) مضاد.

[180] (ق) (ولو كان يوحّد لقوله تعالى).

[181] سورة آل عمران، الآية85

[182] سورة آل عمران، الآية19

الأصل الثاني: في الملة النصرانية

وفيه فصول:

الفصل الأول: في حكاية آراءهم وعقائدهم المتفق عليها والمختلف فيها

قالوا: إن الإله جوهر، ثلاثةُ أقانيم: آب، وابن، وروح القدُس، كلٌّ واحد منها إله تامٌّ، والكل إله واحد. وخالف آريوس[183] في إلهية الابن، ولم يتعرض لروح القدس.

وخالف مقدُونيوس[184] في إلهيّتهما، وقالوا: أعني غير الآريوسيّة والمقدُنيوسيّة:

أنّ الابن الذي هو أحد الأقانيم نزل إلى الأرض وتجسّد من مريم العذراء ومن روح القدُس، ووُلِد صغيراً كغيره من الأولاد وكبر إلى أن بلغ ثلاثة وثلاثين سنةً وشهوراً ثم إن اليهود صلبوه وسمّروه، ومات وقَبَرُوه ثم قام في اليوم الثالث وظهر للحواريّين وأكل السمك وشرب الماء ثم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الآب، وهو في هذه الأحوال كلها إله تام وإنسان تام[185]، ولا يزال هكذا إلى أبد الآبدين ودهْرِ الدَّاهِرين.

---

[183] آريوس (256ــ336) أسقف من شمال إفريقيا، أوجد مذهب أو بدعة الآريوسية في الديانة المسيحية التي لم تعد موجودة الآن، فأنكر لاهوت المسيح ونادى بأن الابن دون مرتبة الأب وأنه مخلوق، انظر: (أثناسيوس الرسولي، **المقالات الثلاثة ضد الآريوسيين،** ترجمة: د. نصحي عبد الشهيد وآخرون، مطابع النوبار ــ العبور، القاهرة، 2015، ص44).

[184] مقدونيوس أسقف من القرن الرابع على طريقة آريوس كان بطريرك على القسطنطينية 342م، أنكر لاهوت الروح القدس واعتقد أنه عمل إلهي ليس بأقنوم، ورفض رأيه مجمع القسطنطينية، للتوسع انظر: (المؤتمن بن العسال، **مجموع أصول الدين**، مطبعة الآباء الفرنسيين. القاهرة، 1997، ج1/ص234).

[185] سقطت من النسخة (ق).

قالوا: وإنما نزل إلى الأرض وتجسّد ليُخلّص الإنسان ويربط الشيطان وخلّصَ وربط، وسينزلُ مرةً أخرى ويقيمُ الحقَّ، ويحاسب الخلق ويبعث بعثاً إلى النّعيم وبعثاً إلى الجحيم.

وأجمعوا على أن شريعتَهم ناسخةٌ لشريعة التوراة رافعةٌ لسنّة السّبت، ثم إنها لا تُنسَخ.

والعِلّةُ المانعة من النسخ عندهم غيرُ العلة المانعة منه[186] عند اليهود، ونبيّنُ سند[187] كلٍّ واحد منهما في موضعه، وقالوا بأن الشريعة: إما عادلة وإما فاضلة، وليس وراء العدل والفضل مرتبةٌ أخرى ولهذا أنكروا الشريعة[188] المحمدية، واختلفوا في كيفية التجسُّد والاتحاد وفي الذي وقع فيه الاتّحاد:

قالتِ المَلَكِيّةُ: اتّحد الابن الأزليُّ بإنسانٍ كلّيٍّ مجرد عن الأقانيم فصار بذلك مسيحًا واحدًا إلهًا تامًا وإنسانًا تامًا ذا طبيعتين ومشيّتين وأُقْنُومٍ واحد.

وقالت اليعقوبية: اتّحد الابن الأزليُّ بإنسان جزئيٍّ شخصي ذي أُقْنومٍ فصار بذلك مسيحًا واحدًا إلهًا تامًا وإنسانًا تاماً ذا طبيعة من طبيعتين وأقنومٍ من أقنومين ومشيّةً من مشيّتين.

وقالتِ النّسطورية: اتحد الابن الأزليُّ المولود من الآب قبل الدُّهور والأعصار بالابن الزمني المأخوذ من العذراء[189] فصار بذلك مسيحًا واحدًا و[190]إلهًا تامًا وإنسانًا تامًا ذا طبيعتين وأقنومين ومشيّةٍ واحدةٍ.

---

[186] في النسخة (ق) للنسخ.

[187] في (ق) شُبه.

[188] في (ق) شريعة.

[189] في (ق) المولود من العذرا.

[190] سقطت من النسخة (ب).

وهؤلاء أصـــولُ النصـــرانية وعمادها وســـائر الطوائف غير المرقويّة والمانويّة والأريوســـيّة والمقدنيوســـيّة والسُّمَيساطيّة[191] يتطفّلون على هؤلاء ويرجعون إليهم.

والسيمساطيّون يقولون: إن الابن الأزلي اتحد بجسدٍ لا نفْسَ له وقام مقام النفس.

والذين استثنيناهم ليسوا بنصارى عند النصارى، وقد أوردنا آراءهم المتفق عليها والمختلف فيها.

[191] في النسخة (ق) السميسطائية، وهم أصحاب بولس السميساطي وينسب إلى سميساط وهي قرية تقع على نهر الفرات كان أسقفًا على أنطاكية سنة260م، كانت مقالته في المسيح أنه إنسان ساذج فقط استحق من الله هذه الموهبة الجليلة، قضى بخلعه مجمع أنطاكية سنة 268م. انظر: (المؤتمن بن العسال ـ **المصدر السابق**، ص227).

الفصل الثاني: في إبطال قولهم: إنّ الإله جوهر ثلاثة أقانيم: آب وابن وروح القدس كل واحد منها إله تام، والكل إله واحد

أما إبطال كونه جوهرًا:

فلأنَّ الموجود ينقسم: إلى القديم، وهو الله جل جلاله، وإلى الحادث، وهو كل موجود سوى الله وسوى صفاته، والحادث ينحصر في: الجوهر والعرَض.

والقديم والحادث متقابلان، والجوهر والعرض داخلان تحت «الحادث» المقابل للقديم، والداخل تحت المقابل مقابل، فكل واحد منهما مقابل للقديم، الذي هو الباري جلَّ جلاله، فلو كان الباري جوهرًا لكان مقابلًا لنفسه، والتالي[192] كاذب وإلا لزم اجتماع المتقابلين، فالمقدَّم مثلُه لامتناع[193] وجود الملزوم بدون لازمه، وأيضًا: أكثر العقلاء على أنَّ الجوهر جنسٌ يدخل تحته سائرُ الجواهر، فلو كان الباري جوهرًا لكان نوعًا للجوهر[194] المطلق، فيكون مركّبًا من الجنس والفصل، وكل مركّبٍ محتاجٌ إلى مفرداته ومفرداتِ غيره، فكل مركبٍ محتاجٌ إلى غيره، والمحتاج إليه قبل المحتاج فقبل مَنْ هو قبل كل شيء قبلٌ[195] تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وأما إبطال كونه ثلاثة أقانيم:

فلأنَّ «الأُقْنومَ» لفظةٌ سُريانيّة تفسيرها: «الشخص»، فلما قالوا: «ثلاثة أقانيم»، ألزمناهم بثلاثة أشخاص وثلاثة آلهة، فعدلوا عن «الأشخاص» إلى «الخواص»، وقالوا: الأقانيم خواص فألزمناهم أيضًا

---

[192] في النسخة (ق) والثاني

[193] (ق) لاجتماع.

[194] (ق) جو للجواهر.

[195] لم أجدها في(ق)، وهنا يبيّن لزوم نتيجة القسمة العقلية (جنس، فصل) على ذات الباري جل وعلا ثبوت قبلية سابقة عليه جل وعلا والفرض أنه جل جلاله الأول فليس قبله شيء.

وقلنا: أنتم فسّرتمْ أقــنوم الآب بالوجود، وأقنوم الابن بالعلم، وأقنوم روح القدُس بالحياة، وهذه لا يجوز أن تكون خواصًّا لاشتراك كل موجود عالم حي فيها.

ويلزم أيضًا اجتماع المتقابلين في محلٍّ واحد بالشخص، وهو كونُ الجوهر الإلهي أبًا لنفسه، وابنًا لنفسه، والدًا ومولودًا معًا، وأيضًا: الآب عندهـم علّـة للابن، وإذا كانت الـذاتُ واحدةً يلزم أن يكون الآب علّةً لنفسه، ومعلولًا لنفسه.

فعدلوا عن «الخواص» إلى «الصفات»، وقالوا: الأقانيمُ صفات، فألزمناهم أيضًـــا وقلنا: صفاتُ الجلال ونعوث الكمال لا تنحصر في ثلاثة، والأقانيم عندكم لا تزيد على ثلاثة.

فعدلوا عن مطلق الصفات إلى «الصفات الثبوتية»، وقالوا: الأقانيم صفات ثبوتية، فألزمناهم أيضًا وقلنا: القدرة صفةٌ ثبوتية وليست بأُقنوم عندكم، وكذلك الإرادة والسمع والبصر والكلام، هذه كلها صفات ثبوتية وليست بأقانيم.

فعدلوا عن محض الصفات الثبوتية إلى «صفات ثبوتية جوهرية»، زادوا قيدًا آخر، ثم فسّروا «الصفة الجوهرية»: بأنها هي التي لا تستلزم شيئًا آخر، و«العرَضية»: ما استلزمت:

الأول: مثل قولنا: «زيدٌ حيٌّ »، فإنه لا يلزم من ثبوت الحياة ثبوتُ شيءٍ آخر.

والثاني: مثلُ قولنا: «زيد قادر»، فإنه يلزم من ثبوت القدْرة ثبوت شيء آخر هو المقدور عليه.

فألزمناهم أيضًا، وقلنا: كما أنَّ القدرة تستدعي مقدورًا كذلك العلم يستدعي معلومًا، ويلزم أحد الأمرين: إمّا ألّا يكون العلم أقنومًا، وقد فسّرتم أقنوم الابن به، وهو الأمر الأول.

وإمّا أن تكون القدرة أقنومًا، وقد بطل انحصارُ الأقانيم في الثلاثة المذكورة، وهو الأمر الثاني.

فعدلوا عن الصــفات الإيجابية الجوهرية إلى «مجموع الصــفة والموصــوف»، وقالوا: الأُقنوم هو الذات مع الصــفة الجوهرية، فأقنوم الآب هو الجوهر الموجود، وأقنوم الابن هو الجوهر العالِم، وأقنوم روح القدس هو الجوهر الحي، فألزمناهم أيضًا وقلنا: «الحجر الموجود» يجب أن يكـون أقنومَ الآب، و« زيدٌ العالِمُ» أقنوم الابن، و«الطائر» أقنوم روح القدس، فعدلوا عن ذلك إلى الانتحال[196] الذي يرونه كفرًا، وتطفّلوا على الفلاسـفة وقالوا: «الأقانيم» هي العقلُ والعاقل والمعقول، فألزمناهم أيضًـا وقلنا: يلزمكم أن تقولوا باتحاد الأقانيم الثلاثة، لأن الإضافة العارضة لا يمكن اتحادُّها، فما اتَّحد العاقــل إلّا وقد اتَّحد العقل، والعقل هو المعقول، فما اتّحـــــــد العاقل إلّا وقد اتّحد العقل والمعقول، وقد اتَّحدتِ الأقانيم الثلاثة، فتاهُوا متحيَّرين وتحيّروا تائهين[197]!

فالأقنومُ طويلُ الذَّيل قليلُ النّيل، ما عُلِمَ له حقيقةٌ فلا يجوز وصــفُ الباري جل جلالُه بالأقنوم، فضــلًا أن يكون ثلاثةَ أقانيم.

وأمّا إبطالُ قولهم: هو آبٌ، وابنٌ، وروحُ القُدُس:

فلأنَّ ذات الآب: إمّا أن تكون مغايرةً لذات الابن، فهما جوهران وإلهان.

وإمّا ألّا تكون مغايرة، بل هي هي، فيلزم أن يكون الآبُ والدًا لنفسه، ويلزم اجتماعُ المتقابلين.

وكذلك روحُ القدس يكون منبثقًا منه ومنبثقًا فيه، فبطل قولُهم: هو آب، وابن، وروح القدس.

---

[196] المقصــود خروجهم عن قوانين الملل (المســتندة أصــلاً إلى الشــرائع) إلى أفكار النّحَل التي تعني الاســتبداد بالرأي والاستقلال بالعقل غير مستندة إلى نبوّة أو وحي وهو ما عبّر عنه بالتطفّل على الفلاسفة.

[197] يعبّر عن حقيقة ما وقع لليهود من التخبّط في التيه وشدة الحيرة التي وصلوا إليها فيه.

وأمّا إبطالُ قولِهم: كلُّ واحدٍ من الأقانيم إلهٌ تامٌّ والكلُّ إلهٌ واحدٌ: فلأنَّ كلَّ واحد منها[198]: إمّا أن يكون مساويًا لكلّها في العموم والمفهوم، والكلُّ مساويًا لكلِّ واحد منها[199] في ذلك، أم لا:

فإن كان الأول: فلا فرق بين الكل وكلِّ واحد لكنَّ[200]كونَ[201] الكل أكثرَ والبعض أقل من القضايا[202] الأولية البديهية، فقد أنكروا البديهيات، وحسبهم ذلك. وإن كان الثاني، فتلك الكثرة:

إمّا ألا تتمَّ الإلهيَّة إلّا بها فكلُّ واحدٍ منها ليس بإله، لخُلُوِّه عن تلك الكثرة.

وإن كانت الإلهية[203] تامّة بدونها فالأقانيمُ حشــــوٌ لأنَّ الكثرة ليست غيرَها، ولكون الكثرة عبارةً عن الأقانيم: جعلوا التثليث إليها، والتوحيد إلى الجوهر. فسبحان من سلب عقولهم!

فبطل كونُ الباري جوهرًا، وبطل كونه ثلاثة أقانيم، وبطل كونه أبًا وابنًا وروحًا، وبطل كون كلِّ واحد من الأقانيم إلهًا تامًّا، وبطل كون الكل إلهًا واحدًا.

---

(198) في النسخة (ق) منهما.

(199) في (ق) منهما.

(200) سقطت من النسخة (ق).

(201) في (ق) لكون.

(202) في (ق) قضايا.

(203) في (ق) آلهةً.

الفصل الثالث: في إبطال قولهم بالنزول والاتحاد، وتخليص الإنسان وربط الشيطان

أما النزول:

فلأنه إما أن يقال أنه[204]: نزل مجردًا ثم اتّحد، أو اتّحد ثم نزل:

الأول باطل، لأن النزول والانتقال من خواص الأجسام، والله يتعالى[205] عن الجسمية

والثاني أيضًا باطل لأن المتّحد به وهو جسد المسيح، والمتَّحد منه وهو مريم، كلاهما أرضيّان.

فلم ينزل مجردًا، ولم ينزل متَّحدًا فالقول بالنزول باطل.

وأما الاتحاد: فلأن كل واحدٍ من المتَّحِد والمتَّحَد به:

إما أن يكون موجودًا بعد الاتحاد، فلا اتحاد، لأن الاتحادَ عبارةٌ عن رفع الكثرة، والكثرة بحالها.

وإما أن يكون كل واحد منهما معدومًا فالحاصل بالاتحاد مغايرٌ لكل واحد من المتّحِد والمتّحَد به، فلا هو إلهٌ ولا هو إنسان، فضلًا عن أن يكون إلهًا وإنسانًا معًا، وإما أن يكون أحدُهما موجودًا والآخر معدومًا فلا يكون الموجود نفس المعدوم، ولا بالعكس. فبطل القول بالاتحاد، وإذا انتفى أصل الاتحاد انتفى الاتحاد الذي عند كل واحد واحد، بحسب رأيٍ رأيٍ لأن في انتفاء الحقيقة انتفاءَ أفرادها، إلا أننا حيث أوردنا أقوالهم في «الاتحاد» احتجنا إلى إبطال رأيٍ رأيٍ.

---

[204] سقطت من النسخة (ق).

[205] (ق) تعالى مُنزَّهٌ.

أما المَلَكيُّ: فقد زعم أن الاتحاد وقع بالإنسان الكلي، ويلزمه أحد الأمرين: إما ألا يكون المسيح موجودًا في الخارج، وإما أن يكون المسيح صادقًا على كل فردٍ من أفراد الناس، وإنما قلنا: يلزمه أحد الأمرين المذكورين لأن «الإنسان الكلي»، المتّحَد به:

إما ألا يكون موجودًا في الخارج، والمسيحُ عبارة عنه وعن الابن، وأحدُ جُزأيِ المسيح الذي هو الإنسان الكلي، ليس موجودًا في الخارج، وإذا كان أحد جزأيِ المسيح ليس موجودًا في الخارج فالمسيحُ ليس موجودًا في الخارج، لوجوب انتفاء الكل بانتفاء جزئه وهو الأمر الأول، وإما أن يكون الإنسان الكلي موجودًا في الخارج، والإنسان الكليُّ الموجود في الخارج صادقٌ على كلِّ فرد من أفراده والمسيحُ متَّحِدٌ به. فالمسيح صادق على كل فرد من أفراد الناس، وهو الأمر الثاني.

وأما اليعقوبي: فقد زعم أن الاتحاد وقع بين الطبيعتين والأقنومين والمشيئتين، ويلزم أحد الأمرين:

إما إنكارُ الاتحاد، وإما الجمع بين النقيضين، وإنما قلنا: يلزمُه أحدُ الأمرين المذكورين لأنَّ كل اثنين من الأمور السّتَّة إما أن يمتاز أحدُهما عن الآخر أو لا: فإن كان الأول: فالكثرة على حالها، فلا اتحاد، وهو الأمر الأول، وإن كان الثاني: فالإلهية والإنسانية توارَدَتا[206] على محلٍّ واحد، ويلزم من ثبوت كلٍّ واحدٍ منهما ونفيِ الآخر عنه نفيُ كلِّ واحد منهما، ويلزم الجمع بين النقيضين، وهو الأمر الثاني.

وأما النسطوري: فقد زعم أنَّ الاتحاد وقع في المشيئة، ويلزمه أحد الأمرين:

إما القولُ بثلاثة آلهة، وإما القول باتحاد الأقانيم الثلاثة، وإنما قلنا: يلزمه أحد الأمرين المذكورين لأنه: إما أن يكون لكل واحد من الأقانيم مشيئةٌ على حدة، وإما أن تكون مشيئة الكل واحدة:

---

(206) في النسخة (ق) تواردا.

فإن كان الأول: فكلٌّ واحد من الأقانيم إلهٌ مستقل، ولزم القول بثلاثة آلهة وهو الأمر الأول.

وإن كان الثاني: فالقول بإلهية المسيح على رأيه إنما هو لاتحاد مشيئة الابن الأزلي بمشيئة الابن الزمني. ومشيئة الابن هي بعينها مشيئة الآب وروح القدس، فقد اتحدتْ مشيئة الآب ومشيئة روح القدس أيضًا ويلزمه القولُ باتحاد الأقانيم الثلاثة، وهو الأمر الثاني، فقد بطل القول بالاتحاد مجملًا ومفصّلًا.

وأما إبطالُ قولهم بالتخليص:

فلأنه إما أن يقال: إنه خلَّص جميع النّاس، أو خلّصَ النّصارى فقط: والأول باطل لأنَّ غير النصارى عند النصارى كفار، ولو خلّصهم لما كانُوا كفارًا، والثاني أيضًا باطل لأنه: إما أن يقال: خلّصهم من العوارض الطبيعية، فهم يجوعون ويعطشون، ويمرضون ويموتون مثل غيرهم، فما خلّصهم من العوارض الطبيعية، وإما أن يقال: إنه خلّصهم من أيدي المخالفين، فهم معهم في ذلٍّ وهوان، وخزيٍ وخِذلانٍ وضربٍ وحبسٍ، وسبيٍ وقتلٍ، فما خلّصهم من أيدي الأعداء، وإما أن يقال: إنه خلّصهم من التكاليف الشرعية، فنراهم[207]يصومون ويصلون ويتعبدون، وليتهم على سُننٍ صحيحة!، فما خلّصهم من التكاليف. وإما أن يقال: إنه خلّصهم من عذاب الآخرة، فقد قالوا: إنه ينزل لفصْل القضاء، ويحاسِبُ الخلق ويبعث بعثًا إلى النّعيم، وبعثًا إلى الجحيم، فما خلّصَ، ولا هو مُخلِّصٌ!

وأما إبطال قولهم بربط الشيطان:

[207] في النسخة (ق) فتراهم.

فلأنَّ الربط عبارةٌ عن الانكفاف، وما انكفَّ عنهم، وإلا لكانوا معصومين، وقد اختلفوا وافترقوا فِرقًا كلُّ فِرقةٍ تلعن أختها، فلـــم ينزل ولم يتّحِد ولم يُخلِّص ولم يربط، وكلُّ هذه الخرافات[208] نشـــأت من قولهم بإلهيّته.

الفصل الرابع: في إيراد جملة ما استدلوا به على إلهية المسيح

استدلوا على إلهيّته: بالآيات والمعجزات، ونصوص من الإنجيل وأخبار الأنبياء.

أما الآيات والمعجزات: فلا ننازعهم فيها وإن أفرطوا فيها، لكنها لا تدل على إلهيّته كما سنبيُّنه.

وأما نصوص الإنجيل:

فمنها قوله: «من رآني فقد رأى الآب»[209].

ومنها قوله: «أنا والآب واحد»[210].

ومنها قوله: «أنا بأبي وأبي بي»[211].

ومنها قوله: «أنا في الآب والآب فيَّ»[212].

ومنها قوله: «أنا قبلَ إبراهيمَ»[213].

---

(208) في(ق) خرافات.

(209)**إنجيل يوحنا**، الإصحاح الرابع عشر الآيات 8. 9

(210) **المصدر السابق**، الإصحاح العاشر الآيات29 .30

(211) هذا النص والذي يليه نص واحد ورد باختلافات يسيرة في النقل.

(212)**إنجيل يوحنا**، الإصحاح 14، الآيات 11.10

(213) قال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن.

(**المصدر السابق**، الإصحاح الثامن، الآية58).

ومنها قوله للمُقعَدِ: «قد غفرت لك»[214].

ومنها قوله: «ابن البشر ربُّ[215] السّبت»[216].

ومنها قوله: «تعمّدوا باسم الآب والابن وروحِ القُدُس»[217].

وأما أخبار الأنبياء:

فمنها قول داودَ في «الزَّبور»: «قال الربُّ لربّي»[218].

ومنها قوله أيضًا: «اليومَ أنت ابني وأنا ولدْتُك»[219].

ومنها قول شَعْيا: «العذراء تحبل وتلد ابنًا يُدعى: الإلهُ مَعَنا»[220].

وغيرُ ذلك ولكن هذه[221] أقوى ما استدلوا به.

قالوا:

ما من آيةٍ من تلك الآيات، وما من نصٍّ من تلك النصوص، وما من خبر من تلك الأخبار إلا وهو يدل على إلهيّته، ويشهد بربوبيته.

---

(214) فإذا بأناس يأتونه بمقعد ملقى على سرير، فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمقعد: ثِق بي يا بني غُفِرَتْ لك خطاياك. (**إنجيل متى**، الإصحاح التاسع، الآيات 32).

(215) في النسخة (ق) وربُّ.

(216) فابنُ الإنسان سيد السبت (**المصدر السابق**، الإصحاح 12، الآية 8).

(217) وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (المصدر السابق، الإصحاح28، الآية19).

(218) (**سفر المزامير**، المزمور المئة والعاشر) ،وفي بعض الترجمات قال الرب لسيدي.

(219) (**المصدر السابق**، المزمور الثاني: 7) ، قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك.

(220) (**سفر إشعياء** الإصحاح السابع: 14)، وفيه: ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمّانوئيل، أي الله معنا.

(221) (ق) هذه.

الفصل الخامس: في الجواب عن شبهاتهم المذكورة مجملًا ومفصَّلًا

أما الأوَّلُ فمن وجهين:

أحدُهما: أنّ القولَ بالهيّته إنما يصح لو صحّ الاتحاد، والاتحاد غيرُ صحيح على ما مرَّ.

فالقول بإلهيته غير صحيح.

الوجه الثاني: أن بعض ظواهر الإنجيل وبعض أقوال الأنبياء وإن كان يُوهِمُ بإلهيّته.

فأكثرُ ظواهر الإنجيل، وجُلُّ أقوال الأنبياء، والبراهينُ العقلية تمنع من القول بإلهيّته.

أما ظواهرُ الإنجيل: فمثلُ قوله لما سُئِل عن السّاعة:

«أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمها أحد، ولا ملائكة السماء ولا الابنُ، إلا الآب وحده»[222]

وأيُّ نصٍّ أدلُّ على نفي إلهيته من هذا النص، وهل في جملة ما ذكروه ما يقرُبُ من هذا النص في القوة وهل هو إلا برهانٌ باهر ودليل ظاهر، فإنَّ من لا يعلم متى تكون الساعة كيف يأتي بالساعة، وكيف يكون إلهًا!

ومثلُ قوله: «مِن قِبَلِ[223] نفسي لا أفعلُ شيئًا، ولكن كلُّ شيء كالذي علَّمني أبي»[224].

ومثل قوله: «لا أستطيعُ أن أعمل شيئًا ولا أتفكر فيه إلا باسمِ إلهي».

---

(222) **إنجيل متى**، الإصحاح 24: 36

(223) سقطت من النسخة(ق).

(224) (**إنجيل يوحنا**، الإصحاح الثامن، الآية 28) وفيه وأني لا أعمل شيئًا من عندي بل أقول ما علّمني أبي.

ومثل قوله: «إني لا أعمل بمشيئتي ولكن بمشيئة من أرسلني»[225].

إلى غير ذلك مما يدل على عجزه وقدرة من التجأ إليه وضعفه وقوة من أحال عليه، ذلك ربُّه وربُّ الخلائق، وإذا ثبت أنَّ بعض الظواهر يوهمُ بإلهيّته، كالظّواهر التي تمسّكوا بها، وأكثرَ الظواهر وأقواها كما ذكرنا يمنع من إلهيته، والحججَ العقلية كلها تمنع من إلهيته، فاللازمُ أحد الأمور الثلاثة:

إما ترْكُ الجميع وهو رأي السُّوفسْطائيّة[226] ويجيء بطلانه.

وإما العملُ بالظواهر فقط، وهو جمْعٌ بين المتضادات وإنكار للبديهيات والنظريات.

وإما إخراجُ الظواهر التي تخالف غيرها من الظواهر وتخالفُ الحجج العقلية عن ظواهرها، والجمعُ بين جميع النصوص والأخبار والعملُ بمقتضى العقول والأفكار، وهو الحقُّ الذي يُصارُ إليه ويُعوَّل عليه.

فيجب صرفُ الظواهر التي تعلّقوا بها، المعاندة لغيرها من الظواهر، والمنافيةِ للحجج القطعية والأقيسة البرهانية إلى ما يوافق غيرها من الظواهر ويوافقُ المعقول توفيقًا بين جميع النُّقول والعقول وعملًا بالمنقول والمعقول، والآياتُ والمعجزات إنما دلت على نبوّته وشهدت برسالته، كما دلّت على نبوة غيره، وشهدت برسالة غيره من الأنبياء والرسل، لولاها لم يثبُتْ له ولا لهم نبوةٌ ولا رسالة، وإنها لا تدل على إلهيته ولا إلهية غيره، والدالُّ على الإلهيّة[227] إنما هو الحدوثُ والإمكان والخلق والإيجاد، ولو أنها تدل على إلهية مَنْ[228] تظهر على يده لكان موسى أولى بالإلهيّة من المسيح لكثرة آياته، مثل: اليدِ، والعصا، وانفلاق البحر، وانبجاس الماء، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وخطابِ الله له بلا واسطة.

---

[225] (**إنجيل يوحنا**، الإصحاح السادس، الآية: 38: فقد نزلت من السماء لا لأعمل بمشيئتي بل بمشيئة الذي أرسلني).

[226] في النسخة (ق) السِّفسطائيّة.

[227] في (ق) والذي يدل على إلهيّته.

[228] سقطت من (ق).

وخطابِه له من الشجرِ، ومن النار، ومن الدُّخَان، وإرسال العذاب على بني إسرائيل كلما خالفوه، يميتُهم الله بغتة، ويخسفُ بهم الأرض، ويُهلِكُهم في التّيه، إلى غير ذلك، حتى قيل: ما كان لنبيٍّ معجزةٌ إلا ولموسى مثلُها معجزة، ومعجزاتُ موسى بعدد أيام المسيح مدّةَ رسالته، بل مدَّةُ موسى على طولها كلُّها كانت معجزاتٍ وآيات ومع ذلك ليس بإله، وهم يقولون: إنَّ الحواريّين فعلوا كلَّ ما فعل المسيحُ وليسوا بآلهة.

ويقولون: إنَّ خلقًا كثيرًا من غير الحواريّين أَحْيَوْا وأَبْرؤوا وفتحوا الأعينَ وأقاموا الزَّمْنَى وليسوا بآلهة.

فكيف كان المسيحُ إلهًا دون هؤلاء وقد فعلوا فِعْله!

فإن قالوا وقد قالوا: إنَّ أولئك كانوا يفعلون الآيات بعد المسألة والتضرُّع، وما كانوا يقولون إنهم آلهة، وما أَخبَرَ معصومٌ أنهم آلهة، والمسيحُ كان يفعل الآيات من غير مسألة، وكان يُخبِرُ عن نفسه بالإلهية، والأنبياءُ أخبروا عنه بذلك كما تقدَّم، فبَيْنَهُ وبين غيره فرقٌ عظيم.

قلنا: أما قولُهم عن أولئك: إنهم لم يقولوا إنهم آلهة وإنهم كانوا يفعلون الآيات مع المسألة فكلامٌ حقٌّ، وهو الذي يليق بهم، ويمكن أن يكون.

وأما قولهم: إنّ المسيحَ أخبر عن نفسه بالإلهية، والأنبياءَ أخبروا عنه بذلك، فقد أجبنا عنه وعنهم بالجواب الإجمالي، وستعلمَ الأجوبةَ المفصّلة.

وأما فعلُه الآيات من غير المسألة فممنوع، لأنه لم يخبر عن نفسه بذلك، ولم يخبر عنه معصوم، عَسَاهُ كان يسأل ويتضرَّع وأنت لم تسمع، وليس من شرط الدعاء الإعلانُ والإعلام، بل دعاءُ السرِّ أفضل وأقربُ إلى الإجابة، وأكثرُ مُكابَرتِكَ أنك لم تسمعْهُ يسأل وعدمُ السماعِ والوِجْدان لا يدل على عدم الوجود.

سلّمنا أنه كان يفعل الآيات من غير مسألة وتضرُّع، لكنَّ ذلك لا يدلُّ على إلهيته، لأنه لا يلزم أن يكون ذلك فعلَه، بل فِعْلُ[229] الله أظهره على يديه من غير مسألةٍ و تضرُّع، لقربه منه ومكانتِه عنده .

وســـلّمْنا أنّها[230] فِعلُه، لكن بإذن الله كما أخبر به التنزيل ولا يلزمُ أن يكون إلهًا، ثم فِعْلُ الآيات مع احتمالِ المسألة وعدم الاحتمال، واحتمالِ أن[231] الفاعــلُ هــو الله أو هــو، مع وجوب أنَّ الفاعــلَ إذا كان هو يكون بإذن الله...

تَدَّعي أنتَ، أيّها الجاهلُ المغرور فيه الإلهية!، وتقولُ لهذه الأوهام الفارغة والخيالات الكاذبة: أنه خالقُ الموجودات، وربُّ الأَرَضِينَ والسّماوات!

على أنَّ كتبَكم مشحونةٌ بتضرُّعاته وخُشوعاته، قبل الفعلِ[232] وبعدَه ومعَه، وفي سائرِ أوقاته.

وقد أخبر عنه بذلك:

فمن ذلك قولُه: «يا أبي، أدعوكَ كما كنتُ أدعوك من قبلُ».

ومن ذلك قوله: «أشكرك على استجابتك دعائي»[233].

ومن ذلك قوله: «عبِّرني هذا الكأسَ إن أمكن»[234].

---

[229] في النسخة (ق) فعلَهُ الله.

[230] (ق) أنّه.

[231] (ق) أن يكون.

[232] أي الآيات الظاهرة والمعجزات الخارقة.

[233] (**إنجيل يوحنا**، الإصحاح الحادي عشر، الآيات 41ـــ42، وفيه قال: شكرًا لك يا أبتِ على أنك استجبت لي وقد علمتُ أنك تستجيب لي دائمًا أبدًا).

[234] **إنجيل متى**، الإصحاح26: 39، وفيه: فيقول يا أبتِ إن أمكن فلتبتعد عني هذه الكأس ولكن لا كما أنا أشاء، بل كما أنت تشاء).

ومن ذلك تضرُّعه إليه وهو على الخشبة[235].

والقولُ الأخيرُ وإن لم يكن صحيحًا فهم يعتقدون صحّته، فقد بيّنّا بأنّهم وإن لم يسمعوه يسألُ ويتضرَّع فإنَّ ذلك لا يدل على عدم المسألة، وبيّنا بأنه وإن لم يسأل ولم[236] يتضرَّع وظهرتْ على يده الآياتُ فإنَّ ذلك لا يدل على أنّها فعلُه، وبيّنا بأنها وإن كانت فعلَه يجب أن تكون[237] بإذن الله، وبيّنا بأنه كلما فَعلَ فَعَلَ بإذن الله.

فسبحان من أضلّهم بالكفر وأذلّهم بالشّرك!

وقد فرغْنا من الجواب المجْمل من الوجهين المذكورين.

[235] **إنجيل متى**، الإصحاح27: 46 وفيه: ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع صرخة شديدة قال: إيلي إيلي لما شبقتاني؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟

[236] سقطت من النسخة (ق).

[237] في(ق) يكون.

وأما الأجوبةُ المفصّلة بحسَبِ شبهةٍ شبهةٍ، فنقول:

أما قوله: «من رآني فقد رأى الآب»

فهـــــذا القولُ عليهم لا لهم، لأنَّ الذي به هو الآب على زعمهم هو لاهوتُه، ولاهوتُه عندهم لا يُرى، والآبُ عندهم أيضًا لا يُرى، فالحقيقةُ المشتركة بينه وبين الآب لا تُـرى، والذي يُرى منه إنما هو ناسُوته، وليس هو الآب بناسوته حتى إذا رأيناه يكون[238] قد رأينا الآبَ، حتى إذا كان الآب إلهًا كان هو إلهًا.

وإذا ثبت هذا ثبت[239] أنَّ مراده بقوله: «من رآني فقد رأى الآب» أنَّ الذي أقوله لكم وتسمعونه مِنّي إنما هو من قولِ أبي، ولو رأيتموه لما قال لكم غير ما قلتُه لكم، لأنَّ حقيقتَه هي حقيقةُ الآب، وهذا لا يخفى على مَنْ له تأمُّلٌ ما، وفِكْرٌ ما.

وأما قوله: «أنا والآب واحد»

فإنه لما قال هذا القول تناولت اليهود الحجارة وأرادوا رجمه ظانّين بأنه يريد ظاهرَه، ولما قال لهم: «أليس في ناموسكم أنكم آلهةٌ ولستم آلهةً حقيقةً بل مجازًا، فلستُ أنا والآب واحدًا حقيقةً بل مجازًا» ففهموا أنه أراد الوحدة المجازيّة ولذلك أمسكوا عن رجمه.

ووجهُ المجاز أنه أحلَّ نفسه محلَّ الآب فيما يُبلِّغُ عنه كما يُحِلُّ الوكيلُ نفسه محلَّ مُوَكِّلِه، والنائبُ محلَّ مُنيبِه، ولا تخفى صحَّةُ هذا وفسادُ ما ذهبوا إليه.

---

(238) في(ق) نكون.

(239) سقطت من (ق).

وأما قوله: «أنا بأبي، وأبي بي»

فرأيتُ المِشارقةَ وهم النّسْطُوريّة ينقلونه على هذا الوجه وغيرُهم ينقل:

«أنـا فـي أبي وأبي فيَّ»، وهذا النقـلُ في «إنجيل يُوحَنَّـا» في الفصل العاشر منه، والأوَّل هـو الأصـح، فإن الرواية على الوجه الثاني مع قوله: «أنا في الآبِ والآبُ فيَّ» تكون تكرارًا خاليًا عن الفائدة.

ونحن نتكلم على النص على اختلاف النَّقلَيْن[240]:

أما على تقدير النقل الأول فمعناه: أني لا أستقلُّ بنفسي، ولكني مستنِدٌ إلى غيــري، هو أبي وإلهي وأبي بي[241] يكلِّمُ الخلق، فإنّي رسولُه إليهم، وواسطةٌ بينه وبينهم.

وأما على تقدير النقل الثاني: فهو مثلُ قـول يوحنَّا: «الله حـالٌّ فينا، ونحن حالُّون فـي الله»، فكما أنّه لا يلزم من كون الله حالًّا فيهـم وهـم حالُّون في الله أن تكـون حقيقتُهما واحدةً، فكذلك لا يلزم كون كلِّ واحد من الآب والابن في الآخَر أن تكون حقيقتُهما واحدةٍ.

ويلزمُهم محالٌ آخرُ هو أنَّ المســيح عندهم هو مجموع اللاهوت والناســوت، والآبُ لاهــــوتٌ فقط، فكيف[242] يكون[243] حقيقةُ من هو إلهٌ فقط حقيقةَ من هو إلهٌ وإنسانٌ وبالعكس.

فيكونُ كلّ واحد منهما في[244] الآخر كنايةً عـــن حلول الحقِّ في كلِّ واحد منهما، لا حلول ذات كل واحد منهما في ذات الآخر، فإن ذلك محالٌ على ما مرَّ في «الاتحاد».

---

[240] في (ق)الثقلين.
[241] في(ق) بل.
[242] سقطت من(ق).
[243] في(ق) تكون.
[244] (ق) في ذات.

وهذا الكلام بعينه هو الكلام على قوله: «أنا في الآب، والآب فيَّ»، فإنه هو ذاك[245] بعينه، وما افترقا إلا في التعريف: فإنَّ الأوَّل تعرَّف بالإضـــافة، والثاني بالألف واللّام، وهذا يدلُّ على أنَّ الرواية الأولى هي الحقُّ فقط، وأما قولُه: «أنا قبل إبراهيم»

ف «القَبْليّة» تُطلقُ على مَعَان: منهـــا القَبْليّة بالزَّمان وهو غرض المستدِلِّ بهذا النص على إلهية المسيح، وهو غَرَضٌ فاسـدٌ، لأن المسـيح لا يجوز أن يكون قبل إبراهيمَ بالزمان، لا بلاهوته لو كان له لاهوت ولا بناسوته:

أما الأول: فلأنَّ الإلهَ لا يكون قبل إبراهيم ولا قبل غيرِه بالزمان، لأنَّ الشـيءَ إنما يكون قبل غيره بالزمان إذا كانا زمانِيَّيْنِ[246]، ويكون زمانُ وجودِ أحدِهما قبل زمان وجود الآخر، واللهُ يستحيلُ أن يكون وجودُه في زمانٍ، فلا يكون قبلَ ما هو في زمانٍ بزمان.

وأما الثاني: فلأنّه بناسوته من زرع إبراهيم ومن كان من زرع إبراهيم لا يكونُ قبلَ إبراهيمَ بالزمان.

فليس هو قبل إبراهيم بالزمان حتى يكون بلاهوته فيكون إلهًا، ولا بناســوته فلا يكون من زرعه، بل هو قبله بنوعٍ آخر من أنواع القَبْلية، ثم هذا الخبر، على ما أوضـــحناه وأزلنا الشـــكوكَ عنه، مُعارَضٌ بقول سليمان حيث قال: «كنتُ مـع الله حيث مـدَّ الأرض»، ولـم يكـن معـه لا بلاهُوته ولا بناسوته، فكلُّ من اعتذر عن هذا بعذرٍ[247] اعتذر عن ذاك[248] بمثله.

---

[245] في (ق) ذلك.

[246] في (ق) زمانَيْن.

[247] (ق) العذر.

[248] (ق) ذلك.

وأما قولُه للمُقعَدِ: «قد غفرتُ لك»، فهو محمول على المغفرة اللُّغويّة التي هي السَّــتْرُ، وإن حملناه على العفوِ فيكون تقديرُه: «أسألُ لك المغفرة»، أو «سألت لك المغفرة، أو «أستغفر لك»، كلُّ هذا جائزٌ.

كيف[249] لا وجُهّالُ النّصارى يرجعون إلى آبائهــم ويسألونهم المغفرة، فإن كانوا يغفرون وليســوا بآلهةٍ فالمسيحُ[250] يغفر وليس بإلــهٍ، وإن كانوا لا يغفرون بل يستغفرون، وإن كانتِ العبــارةُ الغفران، فالمسيحُ لا يغفر بل يستغفر وإن كانت العبارة الغفران، وأما قولُه: «ابن البشر ربُّ السّبْتِ»

فالمرادُ به أنه صاحب سنّة وشريعة له سلطان على السَّبْتِ بالإبطال والإبقاء، ولفظة «الرب» مشتركةٌ تُطلق على الخالق والمخلوق، إلا أنها لا تُطلق على المخلوق إلا مُضافةً كما في مسألتنا هذه.

وأما قولُه: «إذا جاء الفارَقْلِيطُ الذي أُرسِــلُه» فليس المراد[251] أنه[252] هو الذي يتولى الإرســال، بل لما كان مجيءُ: «الفارَقْلِيط موقوفًا على انطلاق المسيح، كما قال: «ما لم أنطلِقْ لم يأت»، فقد صار مجيئُه مشروطًا بانطلاق المسيح، والشرط له مدخلٌ في السّبَبِيَّة[253] فهو بهذا الاعتبار مُرْسِلُه، وفيه دلالةٌ على مجيء نبيِّ الرَّحمة مُحمَّد ﷺ، لأنَّــا قــد بيّنّــا أنَّ الفارَقْلِيطَ المذكور هو[254] محمد ﷺ، وكلمتُه عامَّةٌ، وكلمةُ المسيحِ أيضًا عامَّةٌ، مع اقتضاء اختلاف الشريعتين، فلو تَوَافيا لاختلفا في الحدود والأحكام، وفسادُ ذلك ظاهر، فمجيءُ الفارَقْلِيط الذي هو مُحمَّدٌ مشـروطٌ بانطلاق الفارقليط الآخر، الذي هو المسـيح، عليهما سلام الله[255].

---

[249] (ق) وكيف.

[250] في(ق) والمسيح.

[251] (ق) المراد به.

[252] سقطت من(ق).

[253] في (ق) السبتيّة.

[254] في(ق) وهو.

[255] في(ق) عليهما السلام.

وأما قوله: «تعمَّدوا باســـمِ الآب والابن وروح القدُس»، فهذا لا يدل على إلهيته إلا إذا كان الابنُ الذي هو المســيح هو الابن الذي هو أحد الأقانيم، ويكون قد[256] اتَّحَدَ، وقد بيّنّا فســاد ذلك، وعلى تقدير صحة الاتّحاد فالمسيح عندهم هو مجموع اللاهوت والناسوت، فإطلاقُ[257] اسم «المسيح» على أحدهما مَجَازٌ، فلا يلزم من كون الابن الذي هو[258] أحدُ الأقانيم إلهًا كونُ المســيح إلهًا ولو قلنا بصــحّة الاتّحاد، لأنَّ أحدَ جُزْأَيِ الشــيءِ غيرُ ذلك الشــيء، فأحدُ جُزْأيِ[259] المسـيحِ غيرُ المسـيح فالابنُ الذي هو أحدُ الأقانيم غيرُ المسيح، والمسيحُ ليس بإلهٍ.

وأما قول داود: «قال الربُّ لربّي»، فلا نسلّم أنّ الربّ المضافَ إلى داود هو المسيح ، ولو سلَّمْنا أنه هو المسيحُ فاسمُ «الرَّبّ» مشتركٌ بين الإلهِ والمألُوه، فلا يلزم أنَّه إذا كان أحدُهما إلهًـــا كان الآخر إلهًا، ولو سـلّمنا أنّه إذا كان أحدهما إلهًا كان الآخر إلهًا [260]ف«الإله» أيضًـا لفظٌ مشـتركٌ عندهم وعند اليهود، كما جاء في التوراة قول الله لموسى: «جعلتك إلهًا على بني إسرائيل» فلا يلزم أنـــه إذا كان معنى قوله: «قال الرب لربي»، أي: قال الإله لإلهي، أن يكون[261] الثاني إلهُ العالم كالأول، بل يكون إلهَ داودَ كما كان موسى إلهَ بني إسرائيل، فلا يلزم أن يكون المسيح إلهًا خالقًا.

وأما قوله: «أنت ابني، وأنا ولدتك»

فالقومُ يحرِّفون كثيرًا على ما سنبيّنه عَسَاهُ «ولَّدْتُكَ» بالتشديد وحرَّفوه قصدًا أو[262] جهلاً.

---

(256) سقطت من(ق).

(257) في(ق) فانطلاق.

(258) الذي هو سقطت من(ق).

(259) في(ق) جز.

(260) ولو سلّمنا أنّه إذا كان أحدهما إلهًا كان الآخر إلهًا سقطت من(ق).

(261)سقطت من(ق).

(262) في(ق) و.

وعلى تقدير أنه بالتخفيف: فلِمَ قلتَ: أنّه يريدُ به المسيح، وعلى تقدير أنه يريد به المسيحَ: فلِمَ لا يكون معناه أنه أضافَه إليه ليُشَـــرِّفَه بالإضافة إن كان داودُ أفضلَ[263]، أو يتشرَّف به إن كان هو أفضلُ من داود. وعلى تقدير كونه إلهًا يكون محمولًا على القِسم الثاني من قِسـمَي المشـترك، لا على القسـم الأول الذي هو «إلهُ الكلِّ»، أو يكون كنايةً عن الشـريعة، وإنما يكونُ مثلَ الأول إلهًا مطلقًا، لو كان مشـارِكًا له في نوعه، ولا يجوزُ أن يكون مشارِكًا له في نوعه لأنه إن لم يَمْتَازَ أحدُهما عن الآخر فهو هو لا شريكُه.

وإن امتـازَ فـأفـرادُ النّوع الواحد لا يمتازُ بعضُهـا عـن[264] البعض إلا بالعوارض وهو على الله محـال، ويلزم القولُ بآلهةٍ كثيرة، لأنّ الولدَ غيرُ الوالِد، ومعروضَ عرَضٍ غيرُ معروضِ عرَضٍ آخر، فالوِلادةُ مَجازيّة.

وأما قولُ شَعْيَا: «العذراء تحْبلُ وتلد ابنًا يُدعى: الإله معنا[265]»، فمعناه: العذراءُ تحبل وتلد ابنًا، ويظهر الحقُّ على يده، ويزولُ الاختلافُ الذي كان بين بني إســـرائيل، ويكون الحقُّ معنا، وكنّى[266] عن الحقِّ بالإله، كما تقدّم الكلامُ فيه في مَواضِعَ كثيرةٍ.

فهذه هي حُججهم وأدلَّتهم التي تعلّقوا بها، وبُنيانُهم الـــــــذي بَنوْا عليه، وقد زيَّفْنا جميعَ[267] ذلك كما رأيتَ.

---

[263] سقطت من(ق).

[264] في(ق)على.

[265] في(ق) معناه.

[266] في(ق) كُنَّا.

[267] في(ق) جمعُ.

الفصل السادس: فيما يصرِّح بنفي إلهيته من الإنجيل

وذلك شـيء كثير: منها قول المسـيح في الإنجيل لما سُـئل عن «السّـاعة»: «أما ذلك اليوم[268] وتلك الساعة فلا يعلمها أحد ولا ملائكةُ السماء ولا الابنُ، إلا الآبَ وحده».

فهذا بيان باهر وبرهان قاهر، على نفي إلهيته فإن من لا يعلم السـاعة كيف يأتي بالسـاعة، وكيف يكون إلهًا وهو لا يعلم متى تكون السّـاعة، ومنها قولُه[269]: «من قِبَلِ نفسـي لا أفعلُ شـيئًا ولكن كلُّ شـيء كالّذي علمني أبي».

قد نفى عن نفســه العلم بحقائق الأمور وأخبر أنه متعلم وفوقه معلم يعلمه ولا يعمل إلا على الوجه الذي يقال له، ومن يكون مســتمِدًّا من غيره ومتعلمًا منه وغيرَ مســتقِلٍّ بنفســه، كيف يكون إلهًا وهذا برهان آخر، ومنها قولُه: «لا أستطيع أن أصنع شيئًا ولا أتفكّر فيه إلا باسمِ إلهي».

فقد نفى عن نفسـه الاسـتطاعة، وأنه لا يرجع فيما يفعل إلى الفكر، إلا إن كان بإمداد الله إياه، ومن لا يكون مسـتطيعًا لا يكون إلهًا، ومن يسـتمِدُّ من غيره يكون مُحتاجًا لا محالة إلى ذلك الغير، والإله يُمِدُّ ولا يَستمِدُّ ويُحتاجُ إليه ولا يَحتاج، وهذا برهان ثالث من[270] «الإنجيل» على نفي إلهيته.

ومنها قوله: «إني لا أعمل بمشيئتي، ولكن بمشيئة من أرسلني»، فقد أخبر أنه رســول وفوقه مُرسِل أرسله وأخبر أنَّ هناك مشيئتان[271] وأنَّ إحدى المشيئتين وهي مشيئتُه، تحت المشيئة الأخرى وهي مشيئة من أرسله، وهذا برهان رابع من الإنجيل على نفي إلهيته.

---

[268] سقطت من(ق).

[269] سقطت من(ق).

[270] (ق) في.

[271] في النسختين (ب) و (ق) مشيّة، مشيّتين،... جميعها كُتبت بالياء لا بالهمز.

ومنها قولُه: «إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهِكم».

فقد أخبر أن وراءه من يذهب إليه، ويعوِّل عليه، وأنه أبوه وأبوهم، وإلهُه وإلههم على نسبة واحدة.

وهذا برهان خامس من الإنجيل على نفي إلهيته.

ومنها قولُه: «إن كلامي الذي تسمعونه هو كلام من أرسلني»، فقد أخبر أنَّ الذي يسمعون منه من الكلام ليس كلامَه، وإنما هو كلام من أرسله، وفوقه من أرسله وأمَره، وأنه عبد مأمور ونبيٌّ ورسول.

ومنها قوله: «عبِّرني هذا الكأس إن أمكن)، فهل كان الصَّلْبُ باختياره أم لا: فإن كان باختياره: فكيف سأل دفْعه وقد اختاره، وكيف اختاره وقد سأل دفْعه، وإن لم يكن باختياره: فقد كان عاجزًا مقهورًا وضعيفًا مغلوبًا، وهل كان يعلم أن دفْعَ الصَّلْبِ ممكنٌ أم لا: فإن لم يعلم: فكيف يكون إلهًا وهو لا يعلم الممكن من الممتنع.

وإن عَلِمَ: فكيف أدخل الشّكَّ على ما لا شكَّ فيه، ومنها قوله على الخَشَبة: «إلهي إلهي لم تركتني!».

فإلى من تضرَّع وهو هو ؟، وأيُّ فائدة في التضرُّع وقد عَلِمَ أنه لا بُدَّ منه؟

وكيف[272] تضرَّع وقد اختاره وأعان العدوَّ على ما فعل؟

وكيف أعان العدوَّ على صَلْبه ولا يَحِلُّ له صَلْبُه، وفي ذلك تضليلُ الفاعل وصدُّ المعِينِ له عن الهدى، وهو إنما جاء[273] للهداية لا للصّدِّ عنها؟

---

(272) (ق) فكيف.

(273) (ق) جاءه.

وهذه الرواية والتي قبلها وإن كانتـــا كاذبتين فإنه لـــم يُصْلَب ولم يكن على الخَشَبة، لكنهم يعتقدون صحتهما، فنؤاخِذُهم بحكمِ اعتقادهم، والأناجيلُ كلُّها مشحونة بمثل هذه الأمور التي نقلناها وجميعُ هذه النقول تدل على نفي الإلهية عنه وإثباتِها لغيره:

فإن كان إلهًا كما زعموا، وأشار إلى جهة أخرى وموّه بها وصرَفهم عن نفسه فقد أضلَّهم وأغواهم وأظلم عليهم المسالك، وليس(274) هذا فِعلُ من جاء ليَهْدِيَهم ويُخَلِّصَهم، ويربط الشيطان، بل فِعْلُ من يريد لهم السّوء ويُسلِّط عليهم الشيطان لأنَّ الشيطان إنما يدخل على الإنسان من طُرُقِ(275) الاختلاف ومواضعِ الشبهات والألفاظ المتشابهات، وإن كان الإلهُ من أشار إليه ودلَّ عليه فقد بلَّغ الرسالة وأدّى الأمانة وفَعَلَ فِعْلَ أمثاله من الأنبياء عليه وعليهم سلام الله(276)، وهذا هو الحقُّ الذي يُصارُ إليه ويُعوَّل عليه.

فقد(277) بيّنّا بأنّ النصوص والأخبار التي تعلّقوا بها كلُّها عليهم لا لهم، ثم أقمنا البراهين الباهرة، والحجج القاهرة من نصوصهم على نفي إلهيته.

فانظر، أيَّدَك الله!، كيف استعملنا نصوصهم في مواضعها، وحملناها على حقائقها حين تجرَّدت عن الصوارف العقلية والنقلية، فراعَيْنا حقَّ الحقائق، وعملنا بالأدلة النقلية، وجمعنا بينها وبين البراهين العقلية، ونزهنا الإله جل جلالُه عن الحلول والاتحاد، والولوجِ في البطن والخُروج من الفرج، وبيّنّا حقَّ المسيح من النبوَّة، وحظَّهُ من الرسالة.

والحمد لله على الهداية، وعلى كل حال.

---

(274) (ق) فليس.

(275) (ق) طريق.

(276) (ق) عليه وعليهم السلام.

(277) (ق) وقد.

الفصل السابع: في العدل والفضل، والنزول والمعاد

أمـــــا الموت والارتفاع والنزول مرة أخرى، فكلامهم وكلام أهل الحق فيه متقارب، والاختلاف في القَبْليّة والبَعْديّة.

وأما العدل والفضــل: فكُنّا حَكَيْنا عنهم بأنَّ الشـريعة: إما عادلة وإما فاضــلة، وما بيّنّا العدلَ والفضــل فنقول الآن:

الشـريعةُ العادلة عندهم: هي الشـريعة الموسـويّة، ومعنى «العدل»: مقابلة المثل بالمثل، كما حكاه التنزيل بقوله: «وكتبنا عليهم فيها أنَّ النفس بالنفس والعين بالعين».

والفاضــلةُ: هي الشـريعة المسـيحية ومعنى «الفضــل»: العفوُ[278] والتجاوز، كما جاء في الإنجيل: «إذا لطمك على الأيسـر فدِرْ له الأيمنَ، وإذا سـخَّركَ ميلًا سِـرْ معه ميلين، وباركوا على لاعنيكم»[279]، إلى غير ذلك.

وزعمتِ النصارى بأن ليس وراء العدل والفضل مرتبة أخرى، ولهذا أنكروا الشّريعة المحمَّدية.

وقِسْـمتُهم ثنائية، والقسـمةُ الواجبة رباعية والواقعة ثلاثية: أما قسـمتهم فقد ذكرناها، وأمـــــا أنَّ القسـمة الواجبةَ رباعيةٌ فلأنَّ الترديدَ يحتملُ أربعة أقســام هكذا: الشـريعة إما عادلةٌ فقط، وإما فاضـلة فقط، وإما عادلة وفاضـلة معًا، وإما لا عادلة ولا فاضـلة، فصحَّ أنَّ القسـمة الواجبة رباعية، وأما أنَّ القسـمة الواقعة ثلاثية فلأنَّ هذه القضية وإن كانت تمنع الخلوَّ عن العـدل والفضــل فهي لا تمنع الجمع بينهما، فَتَصْـدُقُ ثلاثية هكذا: الشريعة إما عادلة وهي الشريعة الموسوية، وإما فاضلة وهي الشّريعة العيسويَّة.

---

(278) (ق) هو العفو.

(279) **إنجيل متى**، الإصحاح الخامس: الآيات 4438

وقد انفرد كل واحـد منهـمـا بأحَدِ شَطْرِي الكمال، وإما عادلـة وفاضلة معًا، وهي الشريعةُ المحمدية وقد اجتمع فيها الشّـطْران[280]، وهو الكمال، واعلم بأنَّ اليهود والنصـارى والمسـلمين ثلاثَتُهم أنكروا النسـخ وعلل كلُّ واحد منهم بعلة: أمـا إنكار اليهود: فقد زعموا أنّ النّسـخ ممتنع لذاته وذكـروا لهم حُجّتين عامة وخاصة، عقلية ونقلية، ويجيء الكلام معهم في «الأصل» الذي يَخُصُّهم، وأمـــا النصـــارى فقالوا: إنّ الفضـــل أفضلُ من العدل، ويجوز بل يجب نسْـــخُ العـــدل بالفضـــل، دون العكس، رعايةً للأصلح فيهما[281]. فالشـريعة المسـيحية ناسـخةٌ للشـريعة الموسـوية، ثم إنها عندهم لا تُنسـخُ أبدًا، وقد بيّنّا فسـاد تعليلِهم.

وأما المسلمون فقالوا: أنّ النسخ جائز لذاته، إلّا أنَّ الشريعة المحمدية لا تُنسخُ:

أما الأول: فستعلَمُه في بحثنا مع اليهود.

وأما الثاني: فلعدم النّاسخ، لأنّ محمدًا خاتمُ النّبيّين وآخِرُ المنذِرين، فليس وراء شريعته شريعة.

فإن قيل: اليهود والنصارى يعارضون هذا الكلام بمثله، وكلُّ واحد منهما يقول: شرعُه لا يُنسخ، لأنَّ كل واحد من موسى وعيسى هو خاتم المنذِرين: الأول على أصل اليهود، والثاني على أصل النصارى.

قلنا: اليهود والنصارى إن قالوا ذلك فقد ناقضوا ما عندهـــم، فإنَّ اليهود ينتظرون إنجازَ وعدِ الله بقوله: «سـأقيم لهم نبيًا مثلك»، وقد بيّنّا ذلك في «الأصـل[282] الأول»، والنصـارى يعتقدون الفارَقْلِيط، وقد

---

[280] (ق) الشرطان.

[281] (ق) فيها.

[282] سقطت من(ق).

تقدم الكلام معهم فيه، فكلٌّ واحد منهما له من ينتظره، ومذكورٌ مجيئُه عنــده، وعندنا ليس كذلك، لأنَّ الكتاب والسُّنّة قد أخبرا[283] بأنه آخِرِ المنذِرِين:

أما الكتاب فقولُه تقدَّســـت أسماؤه!: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رســول الله وخاتم النبيّين»[284].

وأما السنّة فقولُه ﷺ: «لا نبيَّ بعدي»[285].

فاندفعَتْ معارضَتُهم وسَلِمتْ حُجّتنا.

وأما المعادُ الجِسْــمانيُّ: فالنصــارى يعترفون به ويقولون: إنَّ المســيح ينزل يوم الدَّينونة تعني يوم القيامة، ويبعث بعثًا إلى النعيم وبعثًا إلى الجحيم، ولكنهم ينكرون اللَّذَّات الجُسـمانية مع اعترافهم بأن المسيح بعد قيامته، التي ليس وراءها له قيامةٌ أخرى أكل[286] السمك وشرب الماء، وليت شِعْرِي، يبعثُ البَعْثين إلى مكان أو لا إلى مكان:

فإن كان الثاني: فلا حشـــر ولا نشـــر ولا قيامةَ ولا معاد، وإن كان الأول: فلا يخلو: إما أن يبعَثهم إلى مكان واحد أو إلى مكانين:

فإن كان الأول: فهو نعيم أو جحيم أو لا هذا ولا ذاك، فأهل النعيم والجحيم في مكان واحد.

وإن كان الثاني: فالمكانان إما متشابهان أو مختلفان:

---

(283) (ق) أخبرَ.

(284) سورة الأحزاب، الآية40

(285) جزء من حديث، رواه سليمان بن الأشعث، أبي داود، **سنن أبي داود**، ت: شعيب الأرناؤوط و محمد كامل، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م، ج: 6، ص309

(286) (ق) وأكل.

فإن كان الأول فالنعيمُ والجحيم يرجعان إلى شيء واحد لتشابه المكانين،

وإن كان الثاني:

فإما أن يكون أحدُهما ملائمًا والآخرُ غيرَ ملائم[287]، ويلزمُهم القولُ بالثواب والعقاب الحِسّـيِّين، وهم لا يرون ذلك، وإن لم يكن ملائمًا ولا غيرَ ملائم فلا نعيم ولا جحيم.

فلا أنّهم وافقوا الفلاســفة في إثبات المعاد الرُّوحاني بشــروطه، ولا أنّهم وافقوا المســلمين في إثبات المعاد الجسْماني بشروطه[288]، بل خالفوا الفريقين في شيء، و وافقوهما في شيء، وسلكوا سبيلًا ظاهرَ الفساد.

---

[287] (ق) أو غير ملائم.

[288] سقطت من(ق).

الفصل الثامن: في تناقض الأناجيل وغيرها

وهو آخر فصول هذا الأصل[289]

قال في إنجيل متَّى: من إبراهيم عليه السّلام إلى يوسف النجار خطيبِ مريم اثنان وأربعون ولادة.

وقال في إنجيل لوقا: خمسٌ وأربعون ولادة، مع اختلافٍ في الأشخاص والأسماء، ومن هذا القبيل شـــيء كثير، إلا أنَّ أسماءهم ثقيلةٌ، والأنســابُ والتواريخ لا تنضــبط إلا بها؛ فنُعرِضُ عن هذا القســم ونُورِدُ ما يسهُل إيرادُه.

فمن ذلك ركوب المســـيح الحمار: قال في إنجيل متَّى: ركب حمارةً لها[290] فِلْوٌ، وقال في إنجيل مَرْقُص: ركب فِلْوًا لم يُرْكَب.

وبينهما تناقضٌ من وجهين، لاجتماع كلٍّ واحدة من القضيَّتين مع لازمِ نقيضِها.

وكذلك قوله: «رَكِبَ مركوبًا رُكِبَ»، و «مركوبًا لم يُرْكَب»، يلزمُ في[291] كلَّ واحدٍ منهما الجمع بين النقيضين على الوجه الذي سبق، لا يقال: إنه ركب حِمارًا وحِمارةً، مركوبًا وغيرَ مركوبٍ، كَرَّاتٍ ومرَّات، ولا يلزم التناقض، لأنَّا نقول: إنهم أجمعوا على أنه ركب رُكُوبًا واحدًا مركوبًا واحدًا، فســقَطَ السؤال، واستمرَّ الإيراد.

ومن ذلك مجيءُ النِّسوة إلى القبر: في إنجيل متَّى: مريمُ ومريم أتَيا[292]إلى القبر ليلةَ السبت عِشَاءً.

---

[289] (ق) الفصل.

[290] (ق) كان لها.

[291] سقطت من(ق).

[292] في إنجيل متّى مريم ومريم أتيا، سقطت من(ق).

وفي إنجيل مَرْقُص[293]: في يوم الأحد قبل طلوع الشمس، وبينهما تناقض.

وفي إنجيل متَّى: أنَّ الصــخرة كانت على القبر رفعَتْها الملائكةُ بحضــرة الزُّوَّار وغيرِه من الأناجيل: وُجِدتْ مرفوعةً لا يُدرَى رافِعُها، وأكثرُ الأناجيل أنَّ الزُّوَّار وجدوا المسيح وقد قام.

وإنجيل يوحنا: أنَّ مريم وجدتِ الصــخرةَ مقلوعةً ولم تَرَ شــيئًا، ورجَعَتْ حائرة، وكذلك اختلفوا في معاتبة اللِّصّــين أحدِهما للآخر، وتقريع أحدِهما للمســيح، واعتذارُ أحدِهما[294] الآخرِ عن المســيح، وكذلك اختلفوا في صُراخ الدِّيك، وفي أقل من هذا يتبيّن التناقض والتبديل.

والتغييرُ ظاهر في الإنجيل، كيف لا وباتفاقٍ[295]النصارى والأناجيل أنه قال لهم:

إنه يلبثُ تحت التراب ثلاثة أيام بلياليها، وباتفاقٍ منهم أنه دُفِنَ ليلة الســبت وقام يوم الأحد عند طلوع الشمس وعند بعضهم: قبلُ، وأيُّ تناقضٍ أظهرُ من هذا!

ومع هذا يقولون: إنَّ روح القدُس حلَّ على الحواريّين، ونطقوا بلغاتٍ مختلفة، وأخبروا عن الغُيوب، وفعلوا الآيات وهم معصومون عن[296] الصغائر والكبائر. فإن صدقوا في ذلك فهم حرَّفوا وبدَّلوا، وإن كانوا ما حرَّفوا وبدَّلوا فكذَبوا في عِصْمتهم، وإن صمّموا على عصمتهم: فالمعصوم كيف يشكّكُ على الناس،

وفي ذلك زوالُ عصمته[297]، وكيف ينقل ما فيه التناقض، وكيف يكذب المعصومُ، وكيف يكون معصومًا وقد كذَب، وكيف يكذب وقد حل عليه روح القدُس؟

---

(293) (ق) مرقس.

(294) سقطت من(ب).

(295) (ق) واتفاق بين.

(296) (ق) عن.

(297) (ق) عصمتهم.

وجميعُ النصـــارى ينقلون[298] أنَّ بُطرسَ وبُولُصَ تظاهرا بالعداوة لتركيب الحجة على المخالفين، وضَــرْبَ بولُص لبُطرس بالمِقَارِع، وتشـــكُّك بُطرس في بولص: هل هو على الدِّين أو نافق، وكيف يشـــكِّك أحد المعصومين على الآخر، وكيف يتشكَّك أحـدُ المعصومين من الآخر أو من غيره، مع اتفاقهم على ملازمةِ روح القدُس لا لهم فقط، بل ولجميع المِلّة مع كثرة فِرَقهم، كلُّ فِرقةٍ تلعنُ أخرى[299]، وفي كلِّ فِرقةٍ على زعْمها روحُ القدُس، وروحُ القدُس روحٌ واحد، بل هو ثالثُ الأقانيم، ينحطُّ عن الابن بمرتبة والابن الذي هو أرفعُ، اتَّحد بذاته وجوهره بإنسانٍ ليُخَلِّصَهُم وقد عرفت ذلك فيما تقـدَّم، فكيف يعصمُهم[300] روح القدُس ومرتبتُه دون مرتبة الابن، وحلولُ روحِ القدُس يكون على حســب حلول الكلمة، وهو «الاتّحاد» وقد سبق الكلام فيه[301].

وروح القدُس حلَّ عليهم وهو في محلِّه أو فارَقَ محلَّه:

فإن كان الأول: لزِمَ قيامُ الصفةِ الواحدة بمحلَّيْن.

وإن فارَقَ: فهو من العوارِض الممتنعة على الله تعالى، وأيضًـــا: لا يبقى الإلهُ ثلاثةَ أقانيم لأنَّ أقنومَ الروح قد فارَقَه، واعلم بأننا خاطبناهم بما عندهم ولم نُخاطبهم بشـيء مـــن الأدلة العقلية لأنَّ عقولَهم تَنْبو عن قَبُولِها.

---

(298) (ق) يقولون.

(299) (ق) الأخرى.

(300) (ق) بعضهم.

(301) يكون على...سبق الكلام فيه، سقطت من(ق).

وأما تعبُّداتُهم فقد أعرَضْنا عن ذكرها، إذ لا أصل لها لأنهم تركوا العمل بالتوراة عنادًا لليهود، والإنجيلُ ما فيه أحكام، فابتدعوا تلك التعبُّدات بعقولهم مثل الصـــابئة لا يرجعون فيها إلى كتاب إلهيٍّ وخطاب سماويٍّ.

واعلم بأنَّ الإنجيل الـــذي بأيديهم لا يمكن أن يقال: إنه كتابٌ إلهي لأنهم أجمعوا على أنه جَمْعُ الحواريّين لكلام المسيح(302) ووقائِعِه، وما نُسِبَ إليه في حياته وبعد وفاته فبعضُه كلامُه، وبعضُه كلامُهم، وليس وليسوا بإلهٍ ولا آلهةٍ، فليس ذلك من كلام الله بشيء.

فإن قيل: التنزيلُ قد أخبر عن الإنجيل ونُزوله وإنهم لا يعرفون لهم إنجيلًا غير الإنجيل الذي بأيديهم فهو الإنجيلُ الذي أخبر عنه التنزيل.

قلنا: الإنجيلُ الذي أخبر عنه التنزيلُ هو الذي يقول: «وءاتيناه الإنجيل»، فالإنجيل الذي أخبر عنه التنزيـــل كان موجودًا قبل غَيْبة المسيح، والإنجيلُ الذي بأيديهم وُجِدَ وجُمِعَ بعد المسيح فلا محالةَ هذا غيرُ ذاك(303)، وكونُهم لا يعرفون إنجيلًا غير الذي بأيديهم لا يلزمنا ذلك لأنَّ الله تعالى لم يُخْبِرنا عن إنجيلٍ هو في أيديهم، وإنما أخبرنا عن إنجيل نزلَ على عيسى(304)،

وأنه لم يُنزل في لوح أو قرطاس مثل التوراة، ولكنه كلام أُوحِي إليه، وارتفعَ بارتفاعه.

وهذا آخرُ الفصل، وخاتمة «الأصل».

---

(302) (ق) عيسى المسيح.

(303) (ق) ذلك.

(304) (ق) عن الإنجيل الذي نُزِّل على عيسى.

الأصل الثالث: في اليهود

وفيه فصول:

الفصل الأول: في النسخ

كنّا[305] قد قلنا بأن اليهود أنكروا النســخ محتجّين: بحجّةٍ عامّة عقليّة وخاصّــةٍ نقليّة، ووعَدْنا ببيانه في «الأصـل» الذي يخُصُّـهُم فنقول: إنَّ الحجة العامة العقلية قولهم: الباري جلَّ جلالُه إما أن يقال: إنه عالِمٌ بالناسخ والمنسوخ، أو ليس:

الثاني بَدَا[306] ممتنع على الله تعالى بالاتفاق.

والأول لا يخلو: إما أن يقال: إن الناسخ خير[307] من المنسوخ، أو دونه أو مثلُه.

فإن كان الأول فكان يجب تقديمُه رعاية للأصلح، وإن كان الثاني فلا يُنسَــخ رعاية للأصلح، وإن كان الثالث فلا فائدة فيه لأن حكم أحدِ المِثْلين حكمُ الآخر، فلا يجوز الإتيانُ به رعاية للأصلح.

فهذه هي حجتهم العامة، وأما حجتهم الخاصــة فهي قولهم: إنا ننقلُ عن موســى بالتواتر أنّه قال: «تمسَّـكوا بالسَّـبت ما دامت السّـماواتُ والأرض»، أو «عليكم بديني»، أو غيرَ ذلك مما حاصـلُه أن الشريعة التي لهم لا تزول[308] إلى يوم الدين.

وهذه هي حُجَّتهم النقلية وهي تختص بعدم نسـخ شـرعِهم، والأول يمنع نسخَ شرعِهم وشرعِ غيرِهم ولهذا كانت الأولى عامة والثانية خاصة.

---

[305] سقطت من(ق).

[306] في النسختين(ب) و (ق) هكذا، ولعلها بداءٌ.

[307] (ق) غير.

[308] (ق) تُنسخ.

والجواب عن ذلك: أما قولهم: لا يخلو إما أن يقال: إن الباري عالم بالناسخ والمنسوخ، أو ليس.

قلنا: بل هو عالم بهما وبكل شيء، لا يَعْزُبُ عن علمه مثقالُ ذرة، قولهم: إما أن يكون الناسخُ خيرًا من المنسوخ أو دونَه أو مثلَه.

قلنا: ليس خيرًا منه ولا دونه ولا مثله على الإطلاق، بل[309] خيرٌ من المنسوخ بالنسبة إلى زمانه، ودون المنسوخ بالنسبة إلى زمان المنسوخ، ومثلُ المنسوخ في وقته، فهو خيرٌ منه ودونَه ومثلُه بالاعتبارات الثلاثة فإنّ النّاس كالمرضـــى، والعقائدَ الخبيثةَ كالأمراض، والأنبياءَ كالأطباء، والشــرائعَ كالأدوية، فكما أنَّ أيَّ دواء كان لا يصلح لأي داء كان، كذلك أيُّ شريعةٍ كانت لا تصلحُ لأي زمان كان، بل لكلِّ زمان سُنَّةٌ تلائمُه وشريعة توافقُه، على أنَّ تعليلَهم بوجوب تقديم الأصلح تعليلٌ فاسد، فإنه لا يجب على الله شيء، ولو وجب عليه شيء بحيث يتحتَّم[310] فعلُه لخَرَجَ عن كونه فاعلاً مختارًا، ثم للفاعل المختار أن ينتقلَ من الأعلى إلى الأدنى وإلى المِثل لغيرِ مُرجِّحٍ زائدٍ على اختياره، ولذلك لما قالت الفلاســـفة: إنّ الباري غيرُ فاعل بالقصـد والاختيار وإلا لكان فعلُه لغرض، فلا يكون جوادًا مطلقًا، أجاب المِلِّيّون: بـــأنَّ الفاعلَ المختار يرجِّح أحـــد طرفي الممكن بمجرد اختياره، كالهارب من العدو، فإنه إذا عَنَّ له طريقان متساويان من كل وجهٍ، فإنه يسلك أحدَهما لغير مرجِّح، وكذا الجائع لو قُدِّم إليه رغيفان متساويان، وكذا العطشان لو قُدِّم إليه شَرْبتان متساويتان، فإنَّ الأول يختار أحد الرغيفين والثاني يختار إحدى[311] الشَّـــرْبتين لغير مرجِّح زائد، وذكروا له نحو[312] من أربعين صورةً يقع الترجيح فيها لغير مرجِّح زائد على الاختيار.

---

[309] (ق) بل هو.

[310] (ق) ما يتحتّم.

[311] سقطت من(ق).

[312] (ق) نحوًا.

على أنَّ النسخ واقع عندهم في صور(313):

منها: أمرُ الله إبراهيم بذبح ولده ونَهيُه عنه وهذا نسخٌ.

ومنها: تزويجُه بأخته وعدم جواز ذلك في التوراة وهذا نسخٌ.

ومنها تزويجُ يعقوبَ بالأختين معًا، وعدم جواز ذلك في التوراة، وهذا نسخ.

ومنها تزويج عمران بعمَّته ومنعُ التوراة منه، وهذا نسخ.

فإن قالوا وقد قالوا: بأنَّ تلك الأفعال لم تكُ تستنِدُ إلى شرع إلهي، وخطاب سماوي وإنما كانت أمورًا(314) اصطلاحية، مثل الحدود والأحكام التي للصابئة.

قلنا: لولا أنها تستند إلى شرع لما أخذ جميعُ بني إسماعيل(315) وجميعُ بني إسحاق بسنّة الختان ولما ختَنْتُم المولود في اليوم الثامن إذا صادف السّبت.

على أن قسمة(316) الأرض بين الأسباط تستنِدُ إلى شرع التوراة باتفاق اليهود، والتوراةُ قَسَمَ بين الأسباط، وجَعَل لِتسعةَ(317) أسباطٍ ونِصْفَ سِبْطٍ غربِيَّ الشريعة، ولِسِبْطَين ونصفٍ سِبطٍ شرقيَّ الشريعة، ثم إن حِزْقيلَ زالَ(318) الجميع، وقسم بين الجميع فالناسخُ والمنسوخُ وقعا في شريعة واحدة، هي شريعة الجاحدين للنسخ!

---

(313)راجع ما كتبه السموأل في كتابه **إفحام اليهود** ص103.93.90.86

(314) (ق) أمورًا كانت.

(315) (ق) إسرائيل.

(316) (ق) القسمه.

(317) (ق) تسعة.

(318) (ق) أزال.

وإنهم منعوا النسخ خوف البَدَا[319] ووقعوا فيه دون سائر الخلق!، فإنه ذكر في السِّفر الأول من التوراة أنَّ الله تأسَّف على خلقه للإنسان لأفكارهم الخبيثة فحَلَفَ أن يُبيدَهم، فأرسل عليهم الطُّوفان فأبادهم[320]، | وهذا بَدَا لا اعتذار عنه، وقد أجبنا عن الحجة العامة العقلية.

وأما الجواب عن الحُجَّة الخاصة النقلية فنقول:

إنَّ عمومَ الأزمان وإن أفاد اعتقاد الدَّوام فإنه لا يفيد دوامَ الاعتقاد[321] لإمكان إرادة التخصيص، ولما بيّنّا من نصوصهم نبوَّة نبيّنا بما لا يندفعُ، تعيَّنَ وقوعُ النسخ، فوجب إرادة التخصيص جمعًا بين صحة قول موسى وصحة نبوَّة نبيّنا عليه[322] السلام، ويكونُ تقديرُ قول موسى عليه السلام: عليكم بديني، أو تمسكوا بالسّبت، ما دامت السماوات والأرض ما لم تأتكم سنة مُبتدَأَة أو ناسخٌ أو غيرَ ذلك مما يجوز أن يكونَ مخصِّصًا فإذا أتاكم ذلك فاتبعوه.

هذا إذا كان النقل صحيحًا، أما إذا لم يكن صحيحًا فلا شبهة لهم أصلاً[323].

فمعقولُهم غيرُ معقول، و منقولُهم غيرُ منقول ولم يؤمِنوا بالنّاسخ، والمنسوخُ لم يبقَ له حكمٌ، فليسوا على شيء.

وهذا آخر الفصل.

---

[319] (ق)و(ب)، ولعلها البداء.

[320] ورأى الرب أنّ شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأنّ كل تصور فكر قلبه يتسم دائمًا بالإثم، فملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان ، وقال الرب: أمحو الإنسان الذي خلقته عن وجه الأرض مع سائر الناس والحيوانات والزواحف وطيور السماء، لأني حزنت أني خلقته، راجع: (**سفر التكوين**، الإصحاح السادس:5 .7).

[321] (ق) وإن أفاد اعتقاد الرجحان فلأنه لا يفيد رجحان الاعتقاد.

[322] (ق) عليهما.

[323] لهم أصلاً، سقطت من(ق).

الفصل الثاني: في تحريف التوراة وتبديله

والدليل على ذلك: التناقضُ الواقع في جميع نُسَخِ التوراة، والتناقض الواقع بين النسخة التي في أيديهم والتي في أيدي النصارى.

أما التناقض الواقع في جميع نسخ التوراة فشيء كثير، لكنّا نذكر صورًا:

منها[324]: منها الأنهار الأربعة، التي هي: النيل والفرات والدِّجلة وجَيْحُون، قال في التوراة التي بأيديهم: إنَّ جَيْحُون أو: جَيْحان يحيط بجبال الحبشة، وأرضُ الحبشة وجبالُها معروفان، ولم يقل أحد من أيام موسى إلى يومنا هذا: إنّ في الحبشة نهرًا يقال له: «جيحان» أو «جيحون». وهذان النّهران في ناحية الشمال وفي الشرق:

أحدُهما وهو جيحون في أقصى بلاد العجم، وثانيهما وهو جيحان، ينزل من جبال الروم وينصبُّ إلى بحر الروم[325]، فالواقع والرواية متباينان: والواقع محسوس لا يندفع، والغلطُ في الكتاب الإلهيِّ ممتنعٌ،

فالتوراة مُغيَّرٌ مُحرَّف، ومنها أنّه حدَّ الأعمار فيه من قَبْل الطُّوفان إلى آخر الدهر بمائةٍ وعشرينَ سنةً، ثم أخبر أنَّ نوحًا عاش بعد ذلك ثلاثمائة سنةٍ وبينهما تناقض.

و«سام» عاش بعد ذلك خمسمائة سنة وبينهما تناقض.

ومنها أن عُمْرَ نوح إلى أن وُلِدَ له سام خمسُمائة سنة، وإلى الطُّوفان أربعُمائة سنة[326].

---

(324) ليست في(ق).

(325) (ق) القلزم.

(326) ورد في **سفر التكوين**، الإصحاح السابع: 6 أنّ عمر نوح عند الطوفان كان ستمائة سنة، وقد أنجب ولده سامًا وله خمسمئة سنة كما في الإصحاح الخامس: 32، فيكون عمر سام عند الطوفان مائة سنة، وذكر بعدها في الإصحاح الحادي عشر: 10 أنه كان له مئة عام بعد الطوفان بسنتين عند ولادة أرفخشاد.

ثمَّ قال: إن سامًا لما بلغ مائةَ سنةٍ وُلِدَ له «أَرْفَخْشَاذُ» بعد الطوفان بسنتين، فيكون عمرُه حينئذٍ مائةَ سنةٍ وسنتين، وكان مائةَ سنةٍ فقط، فقد تناقضا.

ومنها أن نوحًا أخبر أنَّ حامًا يكون عبيدًا لإخوَته، يعني: ذُرِّيَّته، ثم ذكر أنَّ نُمْرُود من وَلَدِ حام كان ملكًا جبَّارًا، وهو أوَّلُ مَلِكٍ ضُرِبَ المثلُ بقوَّته وشِدَّته، ثم ذكر أنّ «مِصْرَ» و «قِبْطَ» من وَلَدِ حام، وفي توراتهم أنَّهم استعبدوا بني إسرائيل مائتين من السنين، فقد[327] تناقضا.

ومنها أنَّ إسحاق قال لابنه «عِيص»: «قد صيَّرتُ يعقوبَ عليك سلطانًا، وجعلتُ كلَّ إخوته له عبيدًا»، ومنها[328] إنّ يعقوب لما انصرفَ من أخواله بنسائه وأولاده لَقِيَ عِيصًا وسَجَدَ له سَبْعَ سجَداتٍ، وأسْجدَ له أهلَه، وما زال في السجود حتى عانقه عِيصٌ ومنَعَهُ من التمادي في السجود، وخاطبَه يعقوبُ بالعبوديّةِ والتذلُّل وأهدى إليه خَمْسَمائةٍ وسِتِّينَ رأسًا من الأنعام، مداراةً له وخوفًا منه، وبينهما تناقض.

ومنها أنَّ الله[329] قال ليعقوب حين صارَعَه: «لستَ تُدْعى من اليوم: يعقوب»[330]

وهو إلى اليوم معروفٌ بيعقوب، وأكثرُ الناس يظنُّون أنَّ «إسرائيل» غيرُ يعقوب، فالخبر والواقع متنافيان.

---

[327] (ق) وقد.

[328] لعلها سهو، ولو كانت (ثم) أنسب للمعنى.

[329] (ق) أنّ الله تعالى.

[330] **سفر التكوين**، 32: 22ـــ29 وفيه أن الرب قال ليعقوب أطلقني فقد طلع الفجر، فأجابه يعقوب: لا أطلقك حتى تباركني، فسأله ما اسمك ؟ قال يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت.

ومنها أنَّ يعقوب قال عند موته: «لا ينقطعُ من يهُوذا القضـيبُ[331]، ولا من نَسْـلِهِ قائدٌ حتى يأتي إلهُ يعقوب».

وانقطع القضيبُ والقُوَّادُ من وَلَدِ يهوذا مرارًا: مرَّةً سِتَّ سنين، ومرَّةً أكثرَ من سبعين سنةً لما دَهَمَهم بُخْتُ نصَّـــر، ومرَّةً إلى اليوم، فالخبرُ والواقعُ متنافيان، وعلى هذا التوراةُ مملوءةٌ من هذه وأشـــباهها، وســـنُفْرِدُ لذلك[332] إن شاء الله[333] كتابًا مستقلًّا.

وأما التناقض الواقع بين النسختين اللتين إحداهما بيد اليهود والأخرى بيد النصارى فكثيرٌ أيضًا[334]:

في توراة اليهود: أنَّ آدمَ لما وُلِدَ له شِيثُ كان عمرُه مائة سنةٍ وثلاثين سنةً.

وفي توراة النصارى: مائتين وثلاثين. وبينهما تفاوتُ مائة سنةٍ.

وفي توراة اليهود: أنَّ عُمْرَ شيثَ لما وُلِدَ له[335] أينُوش كان مائةً وخمسَ سنين.

وفي توراة النصارى: مائتين وخمس سنين. وبينهما مائةُ سنةٍ.

وفي توراة اليهود: أنَّ عُمْرَ أينوش إلى أن وُلِد له قنَانُ[336] كان تِسْعينَ سنةٍ.

وفي توراة النصارى: مائة وتسعين سنة[337]. وبينهما مائة سنة.

---

[331] القضيب: صولجان الملك.

[332] (ق) وسنقر ذلك.

[333] (ق) إن شاء الله تعالى.

[334] يريد الإشارة إلى الفرق بين التوراة العبرانية وتوراة السبعين.

[335] سقطت من (ق).

[336] (ق) قينان.

[337] (ق) أن عمره مائة وتسعين سنة.

وفي توراة اليهود: أنَّ عُمْرَ قِينان إلى أن وُلِد له مِهْلالائِيلُ[338] كان ثمانيةً وسبعينَ سنةً.

وفي توراة النصارى: مائةً وسبعينَ سنةً. وبينهما اثنان وتسعون سنة.

وعلى هذا اختلفا في سائر التواريخ، إلا في عُمْرِ مَتُوشَلَخ[339] إلى ولادة ابنه لامَخ، وعُمْرِ لامَخ إلى ولادة ابنه نُوحٍ، وعُمْرِ نوحٍ[340] إلى ولادة ابنه سام، وعُمْرِ سامٍ إلى ولادة ابنه أَرْفَخْشَاذ[341].

ومُمتنِعٌ صِدْقُ النُّسختين لامتناع صدق النقيضين فالتغييرُ[342] لازم.

ومما يدل على تغيير التوراة ما قيل فيه عن أنبياء الله ورسله ممّا لا تَفْعَلُه[343] فُسّاقُ الأممِ وكُفّارُهم:

فمِن ذلك أنَّ يعقوبَ خادَعَ أباه وقال: إنه عِيص وأخَذ البرَكةَ بالحيلةِ والخديعة، فقد خادَعَ وكذَبَ وسَرَقَ البركةَ، وهَبْ أنَّ ذلك الْتَبَسَ على إسحاقَ لأنه بَشَرٌ مَحَلٌّ لذلك، فكيف الْتَبَسَ على الله تعالى! وبارَكَ على يعقوب!

ومنها: أنَّ بِنْتَيْ لُوطٍ سَقَتا أباهُما خمرًا حتى سَكِرَ وضاجَعَهُما، واسْتَولَدَهُما، وتولَّدوا[344] وتَوَالَدُوا وبلغوا إلى عدد عظيم، ما زالوا يحاربون بني إسرائيل إلى انقضاء دولتهم، ولم يصدر مثلُ هذا من قومه الذين أهلكهم الله تعالى، لسوء أفعالهم!

ومنها: أن رُوبانَ أكبرَ أولاد يعقوب، زنا بامرأة أبيه.

---

[338] (ق) مهلاييل.
[339] (ق) متوشلح.
[340] سقطت من(ق).
[341] (ق) أرفحشاد.
[342] (ق) والتغيير.
[343] (ق) يفعله.
[344] (ق) وتَولوَدُوا.

زَنا نبيٌّ بامرأةِ نبيٍّ هو أبو الزَّاني!

ومنهـــا: أنَّ يهوذا ابنَ يعقوب، تعرَّضَتْ لـــه امرأةٌ كان قد زوَّجها من أكبر بنيه ودخل بها ومات عنها، فزوَّجها من ابنه الثاني كذلك، ثم تركها لابنه الثالث، ثم زنا بها وحبلت منه، ثم أمر بحرقها، فلمّا عَلِمَ أنَّ الوَلَدَ منه أمسك عنها، فهل كان يعرفها؟، وكيف لا يعرفها وقد زوَّجها من ابنيه وتركها للثالث؟

أو لـم يعرفها؟، وكيف يَطَـأُ امرأة لم يعرِفْها؟، وكيف جـاز له ذلك؟، وكيف أمر بحَرْقِها والزاني غيرُه وكيف أمسك عن حرْقِها والزاني هو؟، وكيف استحقَّت الحَرْقَ دونَه؟

ومنهـــا: أنَّ هارونَ، أخو[345] موسى ووزيرَه ومثْلَهُ في النبوة وشريكَه في الرسالة، جَمَعَ حُلِيَّ بني إسرائيل وأفْرَغَهُ عِجْلًا جسَدًا، ودعا بني إسرائيل إليه.

فهذه الأمورُ إن صـدرت من هؤلاء الأنبياء، وحاشـاهـم مـن ذلك!، فكيف يَنْتصِبونَ لدعوة الخلق إلى الحقِّ، وإن لم تصدر منهم فقد لَزِمَ التبديلُ.

---

[345] هكذا في النسختين (ب) و(ق)، ولعل الصواب أخا.

الفصل الثالث: فيما قالوا في الله وفي أنبيائه

أما الذي قالوا[346] في الله:

ففي كتاب «التَّلْمُوذا»[347] من كتب الرَّبانيّين، وهم في اليهود مثلُ السُّنّة في المسلمين:

أنَّ مساحة جهة خالِقِهم خمسةُ آلافِ ذراع، وتاجَ رأسه ألفُ قنطار، وفصَّ خاتمه تُضيءُ منه الشمسُ والنجوم، وكلهم[348] يعتقدون أنَّ الله نَزَلَ انتِقالًا وتكلَّمَ شفاهًا، وهم أصل التجسيم والتشبيه، ومنهم انتشر في الأمم، ويقولون جميعُهم في ليالي عيدهم، في آخر أيلول وأول تشرين، بأعلى أصواتهم:

«يا الله، لم تَتَصامَمُ عنّا وأنت تسمع!، وتتعامى وأنت تبصر!، هذا جزاءُ من يُقْدِمُ على عبوديتك ويعترف بربوبيتك! يا الله، لِـم لا تعاقب من كفر بالنعم، ولا تُجازي على الإحسان، ثم تَبْخَسُنا حظَّنا وتُسْلِمُنا لكلِّ مُعْتدٍ!».

ويسخطون في عيدٍ لهم على الله تعالى، ويُلَقِّبونه باسمٍ تفسيرُه: «الإلهُ الصغير»، إلى غير ذلك مما لا يسمحُ[349] القلم بإثباته.

وأما ما قالوا في الأنبياء فأمور:

منها: أنّ موسى هو الذي قتل أخاه هارون، لميل بني إسرائيل إليه.

ومنها: أنّ يُوشَع تزوَّج زانيةً مشهورةً بالزِّنا.

---

[346] (ق) قالوه.

[347] (ق) التلموذ.

[348] (ق) وهم.

[349] (ق) فلا يجوز تسمح.

ومنها: أنّ داود زنا بامرأة أُورِيّا، وسليمانُ ابنُه منها.

ومنها: أنّ أَمُيونَ بن[350] داود اقْتَضَّ[351] أختَه وشقيقُها قتلَ أخاه الزّاني بها.

ومنها: أنَّه أَخَذ سَرارِي أبيه وفَسَقَ[352] بهنَّ.

ومنها أنَّ سُليمانَ بنى لِنِسائه بُيُوتَ الأوثان، وأباحَ لهنَّ عبادَتَها.

فأُمّةٌ هذه أقوالُها في أنبيائها، وأخبارُها عن رسلِها وأوليائها بعيدٌ فلاحُها وصلاحُها[353].

---

[350] (ق) ابن.

[351] (ق) افتضّ.

[352] (ق) وصيَو.

[353] سقطت من (ق).

الفصل الرابع: في سؤالٍ وجوابٍ وكلامٍ كُلّيٍّ

أما السؤال:

فهو أنَّ اليهود يُقِرُّون[354] بنبوة موسى ويعترفون برسالته، ويتمسّكون بشريعته، ويلتزمون أحكام التوراة، ويحفظون سُنّةَ السّبْت الذي هو عمادُ دينِهم، ولولا ذلك لما دخلوا تحت الذل والهوان، ولِما رضُوا بِبَذْلِ الجِزْية ولُزُومِ الحِرْمان، وإذا كان كذلك: كيف يمكن أن يقال: غَيَّروا التوراةَ وحرَّفوه؟

وأما الجواب: فلا شك أنّ مِنْ نَحْوِ ألف سنةٍ لم يكن التوراةُ ظاهرًا عندَهم، وإنما كان يكون عند الكُوهِين لا يطّلِعُ عليه غيرُه، ولا يَعرِفُ أحوالَــه إلا[355] هــو، وكان في الكَهَنة الجاهــلُ والعالم والصالحُ والطالح، وعابدُ وَثَنٍ، وكان الغالبُ على بني إسرائيل عبادة الأوثان، ولذلك كانوا يقتلون الأنبياء ويكذِّبون الرسل، لا سيَّما في دولتهم المتأخِّرة، وجاء في آخِرِ أيّامِها مَلِكٌ يقال له: «يوآحاز»، أَخَذهُ وقَشَطَ اسمَ الله منه حيث وجده، ومَلَكَ بعدَه أخوه فأَخَذهُ وأحْرَقَهُ، ولعلَّه فَعَلَ ذلك لِمَا رأى فيه من العَظَائم ممّا لا يجوز أن يُنْسَبَ إلى الكلام الإلهي والخِطاب السَّمَاوِيِّ، ثم بعد ذلك كَتَبَهُ الكُوهِينُ ما شاء الله أن يكتُبه، وبُخْتُ نَصَّر أخَذَه ثانيةً، وتفرَّق أمرُهم، وتبدَّدَ جمعُهم إلى فوق سبعينَ سنةً.

فلمّا تراجعوا واجتمعوا كَتَبه لهم «عازَر»[356] الورّاق، أو رآه مكتوبًا فأَصْلَحَهُ، على اختلاف الرِّوايتين.

فهذه أسباب التغيير.

---

(354) سقطت من(ق).

(355) سقطت من(ق).

(356) (ق) عازِر.

فإن قيل: إنَّ بني إسـرائيل كانوا أسـباطًا وأُممًا، وكان عند كلِّ سِـبْطٍ نُسْـخةٌ أو نُسَـخٌ، وكان بينَهم أنبياءُ وعلماء، فكيف يجوز عليهم التبديلُ والتَّحْريفُ؟

قلنا: القومُ ما كانوا يلتفتون إلى أنبيائهم، ولا يَسْـتَمِدُّون منهم، بل كان دأبُهم قتْلَهم وتكذيبَهم، وإذا كان هذا حالَ أنبيائهم معَهُم فما ظنُّك بكُتُبٍ هي عندهم!

ثم دولتُهم الأولى لم تكن النُّسَخُ به كثيرةً، ولا كان ظاهرًا كما تقدَّم.

وفي الأخير بُخْت نصَّـر بدَّدَ جمعَهم، وأبادَ جميعَهم، وبعدَ رُجُوعِهم إلى القدسِ لم يكُن قد بَقيَ شـيءٌ من آلات الكنيسة، لا السُّرَادِق ولا التَّابوت، ولا كان عندَهم نبيٌّ ولا قبل هذا بمُدّة تزيد على خمسين سنة.

هذا أمر التوراة الذي بيد اليهود.

وأما الذي بيد النصارى: فأكثرُهـم يقولون: أنَّ النُّسْخة التي بأيديهم وجدوهـا في خابِيَةٍ في خَربةٍ[357] في القُدْس، وحَسْبُكَ من كتـــابٍ وُجِدَ في مثلِ هذا الموضع[358] لا يُدْرَى واضِعُه!، مع مجاورة الأعداء في الدين والدنيا، مع ما نُقِلَ أنَّ أحْبارَ[359] اليهود وعظماءَهم[360] دسُّـــوا ناسًا منهم لتضليل النصارى، والقولِ بإلهية المسيح، فجاز أن يكون قد وضعه لهم في ذلك الموضع بعضُ اليهود ليُضِلُّوا به النصارى، فضَلُّوا وأضَلّوا.

فهل يحتملُ التغييرَ مع هذه الأمور أم لا؟ بلى[361]، وهل يحتمل البقاءَ على ما كان عليه أم لا؟

---

(357) (ق) خزنةٍ.

(358) (ق) المواضع.

(359) (ق) من أخبار.

(360) (ق) عظماؤهم.

(361) سقطت من(ق).

والحق هو الثاني.

وأما «الكلام الكُلّيُّ» المستَدَلُّ به على تحريف التوراة وتبديله:

فما ذكرناه وما سنذكُره من العقائد الخبيثة والآراءِ الباطلة والعبادات[362] التي هي في الحقيقة ضلالاتٌ، وضَعْفِ عقولِهم ورداءةِ أفكارِهم، وسُوءِ أفهامِهم، وكفرِ مقالاتهم في إلهِهم، وجهلِهم بأحوال الأنبياء، وقلة آدابهم مع الله ورُسُله، واختلافِ أقوالِهم في التوراة، والتناقض الشامل لجميع نسخه، والتناقض الظاهر بين النسختين اللتين بأيديهم وأيدي النصارى، وخُلُوِّه عن ذِكْرِ المعَاد.

ثم اقتِصارُهم على الأحوال العاجلة:

إمّا لأنّ التوراة لم تتضمن أمْرَ المعاد، وفي ذلك دلالةٌ تامة على ضعف عقولهم، فإنّ الشرائعَ تأتي على قَدْرِ العُقول.

وإمّا أنّه كان يتضمّن وهم حرَّفوه وبدَّلوه، والكلُّ يدلُّ على التحْريف والتبديل.

وممّا يدلُّ على أنّهم أخبثُ خَلْقِ الله أنّه لما كانتِ الدولةُ دولتَهم، والكلمةُ كلمتَهم كانوا يقتُلون أنبياءَهم، و يكذِّبون رُسُلَهم، ويتّبِعون الشيطان، ويعبدونَ الأوثان، ولما انقضت أيامُهم وانقرضتْ دولتُهم، غَلَوْا في أمرِ الدِّين حتى لا يزالون على الكفر، ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما له مِنْ هاد﴾[363].

---

[362] (ق) العادات.

[363] سورة الزمر، الآية36

الفصل الخامس: في بقيّة خرافاتهم

قالوا: إنَّ «سَمْيون»[364] الســاحِر[365] ظهرت على يده المعجزات، وإنَّ سَــحَرَةَ فِرْعَونَ فعلوا كلَّ ما فعل موسى من العجائب والآيات، وإذا كانتِ المعجزاتُ تظهر على يد الساحر والنبيِّ فَبِماذا يتميَّز النبيُّ من السّاحِر، والنبوَّةُ من السحْر، وكيف ثبتتْ[366] نبوّةُ موسى ورسالتُه وقد ظهر على يد الساحر مثلُ ما ظهر على يده، فلا فضْلَ[367] بينهما، ولا فضل للنّبيِّ على الساحر، وقد بطلتِ النبوات أصلًا ورأسًا.

وقالوا: إنَّ أكابر اليهود دسُّـوا[368] بُولُصَ وغيرَه للتديُّن بدين المسيح، والسَّعْيِ في إفساد دينِه، والقولِ بالتثليث وإلهيّة المسيح، وقالوا عن عظيم عندَهم اشْتَهَر بالعلم والفضل، والدِّيانة والأمانة: إنّه رأى طائـرًا باضَ في الهواء، وسقَطَتْ البيضةُ على الأرض، وهدَمَتْ ثلاثَ عَشْرَةَ[369] مدينةً.

وقالوا: إنَّ إخوةَ يوسُفَ لَعَنُوا كلَّ مَنْ يُخْبِرُ أباهم بخبر يوسُف؛ ولهذا لم يُخبِرِ اللهُ[370] يعقوبَ بخبره خوفَ اللعنة، وقالوا: إنَّ تحيُّر موسى وبني إسرائيل في التّيه إنّما كان لصنمٍ صنَعَهُ فرعونُ في الطريق يُحيِّرُ كلَّ هاربٍ.

---

[364] (ق) سَيمون.

[365] سيمون هو ساحر من أهل السامرة أظهر حيلًا استمالت جموع اليهود إليه، حتى قالوا فيه: هذا الرجل هو قدرة الله العظمى، واعتقد بعضهم أنه المسيح الحق، يقال في الرواية المسيحية: إنه خرج إلى بلاط نيرون وصنع سحرًا عظيمًا ارتفع به في الهواء، فدعا بطرس الرسول عليه قائلًا: يا إلهي يسوع المسيح أظهر عجائبك في هذا الساحر الملعون لئلا يزداد أهل المدينة طغيانًا به فسقط ميتًا، للتوسع انظر: (بن العسال، **مجموع أصول الدين**، ص223).

[366] (ق) تثبت.

[367] (ق) فضل.

[368] (ق) اليهود سوا.

[369] (ق) عشَرَة.

[370] (ق) لم يخبر الله به يعقوب.

ومـن أحكامهـم الفاسدة أنَّ مَنْ سـبَّ نبيًّـا يُؤَدَّبُ، ومَنْ سـبَّ كاهنًـا يُقْتَلُ، والقياسُ يقتضي ألّا يقالَ له شيءٌ على[371] سبِّ الإلهِ والكفرِ به، ولهذا يشتمونَه في عيدِهم، كما تقدَّم الكلام فيه.

وممَّا يُخالِفُ العقلَ، ويَبْعُدُ عن القياس: أنَّ في التوراة أنه لا يُنضَجُ جَدْيٌ في لَبَنِ أمه، ولا تُذْبَحُ شاةٌ وبقرةٌ وأولادُهما في يومٍ واحـدٍ، ولا مزيَّة لنصٍّ على نصٍّ، ولا يجوز النَّسْخُ عندهم، ثـم غَلَـوْا[372] في الأوَّل حتى أن لا يُوضَعَ لبنٌ ما ولحمٌ ما على مائدةٍ واحدةٍ، كلُّ واحدٍ في صَحْفةٍ، ورخَّصُوا في الثاني حتى جوَّزوا ذَبْحَ ألفِ شاةٍ وبقرةٍ وأولادِهم في يومٍ واحد.

وقالوا في التوراة أقوالًا: منها: أنَّها تواريخُ وقَصَصٌ جَمَعَها موسى.

ومنها: أنّ المنزَلَ منها عشْرُ كلماتٍ وما سِوَاهُنَّ قولُ موسى.

ومنها: أنّ المنزَلَ هو الأحكام وما سواها قولُ موسى.

وأوَاخِرُها لا يمكنُ أن يكون قولَ الله ولا قولَ موسى، فإنها أخبارٌ وحكاياتٌ عن موسى ووفاته وما جرى بعده.

فهل يُوثَقُ بعقولهم ودياناتِهم مع هذه الآداب وهذه الأحكام؟

وهذا آخرُ ما اخترنا إيرادَه من تُرَّهاتِهم[373].

---

[371] (ق) إذا.

[372] (ق) عَلَوا.

[373] (ق) نَرَهاتهم.

الأصل الرابع[374]

في الملة المجوسية

وفيه فصلان:

الفصلُ الأول: في قاعدة دينهم.

والآخر: في الكلام عليها.

الفصل الأول

في القاعدة

كان يُقالُ لها: «الدِّين الأكبر»، و «الأُمّة الكُبْرى»، و «المِلَّة العُظْمى»، و «الحُنَفاءُ».

وكان لها قوةٌ وشوكةٌ وسيفٌ وسلطان، وممالكُ وملوكٌ، مُلوكُ[375] العَجَم كلُّهم[376] كانوا يَدِينُون بدِينهم.

وهم يعترفون بمُتَوَسِّطٍ من البَشَرِ بينَهم وبين الله تعالى!، درجتُه في الطَّهارة[377] ومرتبتُه في الطاعة فوق الملائكة، بخلاف الصَّابئة فإنّهم لا يَرَوْنَ فوق الملائكة إلا «الأول»، تعالى وتقدَّس!

وعظيمُ المجوس كان يُقالُ له: «مُوبَذ مُوبَذَان»[378]، أي: عالمُ العلماء، مكانتُه منهم ومن ملوكِهم مكانةُ الخلفاء من المسلمين ومن ملوك الإسلام.

---

[374] (ق) الفصل.

[375] سقطت من(ق).

[376] سقطت من(ق).

[377] (ق) الظاهرة.

[378] (ق) موبد موبدان.

يعتقدون أنَّ طاعة الله وعِصْيانَه مَنُوطٌ بطاعته وعصيانه، لا يَصْدُرُون إلّا عن رأيه، ولا يعملون إلّا بقوله وهم فِرَقٌ وطوائفُ، مثل الكُيُومَرْثِيَّة، والزَّرْوانية[379]، والمانَوِيَّة، والزَّرَادَشْتيَّة، وغيرهم، لا نطوِّل الكتابَ بذِكْرِهم، وكُلُّهم يعتقدون النورَ والظُّلْمة، ويُسْنِدُون إليهما سائرَ الحوادِثِ، وما فيها من الخير والشَّرِّ والنفْعِ والضُّرِّ والصلاح والفساد والنُّقْصان والكمال، أشْرَف المتقابِلاتِ من الحَوَادِثِ إلى أشرف المتقابِلين من المحْدِثين، إلّا أنَّ منهم من لا يعتقدُ أنَّ فوقَهما غيرَهما، ومن هؤلاء من[380] يقول:

إنَّ النورَ قديمٌ والظُّلْمةَ حادِثةٌ ومنهم من يقول بقِدَمِهما[381].

ومن المجوس من يقول: إنَّ فوق النور والظلمة غيرَهما هو إلهُهما وإلهُ جميع الخلائق، لا يُشْبِهُ شيئًا[382] ولا يُشْبِهُهُ شيءٌ، ودينُهم عبادةُ الله وطاعتُه وتنزيهُه، وينزّهونه من إسناد الحوادث إليه، ويُسْنِدونها إلى النور والظلمة، كما تُسنِدُ الفلاسفةُ إلى الحركات السَّماويّة والتَّشَكُّلاتِ الفَلَكيّة، فهؤلاءِ أصلحُ طوائفِ[383] المجوس، وأقربُ فِرَقِهم إلى الحق، ونبيُّ جميعِهم الأول هو[384] «كيومرث»، ويقولون: إنه «آدم»، ويُنكِرُهُ[385] أهل التَّواريخ، والثاني: هو «زرادشت»، ويقولون: إنه «شِيثُ».

ومباحثُهم تدور على أمرين: أحدهما: امتزاجُ النورِ بالظلمة، والثاني: خلاصُ النور من الظلمة.

والأول هو «المبْدَأ»، والثاني هو «المعَاد».

---

[379] (ق) الزراونية.

[380] (ق) ومن.

[381] (ق) بقدمها.

[382] سقطت من (ق).

[383] (ق) الطوايف.

[384] (ق) وهو.

[385] (ق) وينكرونه.

الفصل الثاني: في الكلام عليها

لا شكَّ أن النُّور والظُّلمة عَرَضـــان، لا يقومانِ بأنفسهما ولا حياة لهما[386]، ولا يُوصَفـــان بالإرادة واقتباس الخير والشـــر والنفع والضـــر والصـــلاح والفســـاد، بل الفاعل لذلك كلِّه غيرُهما، ســـواءٌ كان بتوسُّطهما، كفِعْل النّار بتوسُّط الحرارة، وكقطع السَّيفِ بتوسُّط الحدِّ، أو لا بواسِطتهما، كفعل المجَرَّدات، أو بواسطة شيءٍ آخرَ غيرِهما، ثم الامتزاجُ والخلاصُ، المعبَّر عنهُما بالمبْدأ والمعَاد:

إما أن يكونا للإنسان، والإنسانُ ليس بنور ولا ظلمة، لأنّه جوهر وهما عرَضان.

وإما أن يكونـــا لغير الإنسان، فما ذَكَرُوا للإنســـان مَبْدأً ولا مَعَـــادًا، ولا يَضرُّ الإنسانَ امتزاجُ النور بالظلمة، ولا ينفَعُه خلاصُ النور من الظلمة، ولا النّورُ بامتزاجه بالظلمة ينضرُّ، ولا بخلاصِـــه منه ينتفعُ لأنَّ النفعَ والضُّرَّ يَلْحَقان لما له شُعُورٌ، ولا شُعورَ لهما لا حِسًّا ولا عقلاً ولا خيالاً ولا وهمًا.

فلا حاصلَ لكلامهم، ولا محصولَ عندَهم.

وكلُّهم هَلَكوا وصحائِفُهم ارتفعتْ، فلا وجه للإطناب معهم.

وهذا آخِرُ الفصل.

---

[386] (ق) لها.

الأصل الخامس[387]

في مذهب الصابئة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: في قاعدة دينهم.

والآخر: في الكلام عليه[388].

الفصل الأول: في قاعدة دينهم

لاشك أنهم ينقادون للروحانيات، ويهتدون بالأنوار المجردة، التي هي «العقول» عند الفلاسفة و«الملائكة» عند المتشرّعين، ولهم حدود وأحكام، وعبادات هي صوم وصلاة وزكاة وقرابين[389]، لاترجع إلى شيء من الشرائع والنبوات، ولا برهان لهم عليها، ولكنها أمور انفردوا بها واستحسنوها، وصارت لهم سنّة وعادة، والواسطة بينهم وبين الروحانيات هو «هرمس» و«أغاثيمون»[390]، هما: شيث وإدريس وينكرون غيرهما من الأنبياء والحكماء، ويقولون: هم أمثالنا في النوع، وأشباهنا في الصورة والشكل وشركاؤنا في الجنس والفصل، وموافقونا في النفس والعقل، والفكر والنظر، والسعي والاكتساب، ويذهبون مذهبنا في الأكل والشرب، والنوم والراحة، والألم واللذة، وسائر ما أعد للنوع الإنساني، واستعد له النوع الإنساني؛ فأي فضيلة لهم علينا، وأي شرف لهم ليس لنا حتى نقتدي بأقوالهم، ونهتدي بأفعالهم، وندخل

---

(387) (ق) الفصل.

(388) سقطت من(ق).

(389) (ق) وقوانين.

(390) (ق) وأغاديثمون.

تحت طاعتهم، وننقاد لهم فيحكمون فينا بالأمر والنهي، ويصـــرفونا عن أغراضـــنا إلى أغراضـــهم، وعن إراداتنا[391] إلى إرادتهم، وفيهم من يرى التناسخ، والتردد في الأدوار والأكوار، ومنهم من لا يرى ذلك.

فهذه قاعدة دينهم.

الفصل الثاني في الكلام عليها

يقال لهم:

انقيادُكم إلى هذين الرجلين، وتوصُّـلكم بهما إلى الروحانيات، دون من عداهما، إما لسـبب أو ليس: فإن كان الثاني فأنتم أضعف عقلًا من البهائم؛ فإنّ البهيمة إذا أحسَّت بصوت أو حركة طلبت جهة الصوت والحركة؛ لما ثبت في وهمها أنّ الصـــوت لابد له من صـــوت، والحركة لا بد لها من محرّك ومتحرك. وهذه الطائفة العظيمة، والأمة الكبيرة القديمة، قد قلّدت هذين الرجلين من غيـــــر أن يعلموا لهما فضـلًا على غيرهما، وإن كان انقيادكـــم لهما عن سبب ومستند، ولا مستند إلا الخـــارق النّبوي والبرهان العقلي فكل واحد منهما موجود عند غيرهما؛ فهم محجوجون[392] بكلامهم، وكلامُهم ينقض مرامهم.

فإن ســائر ما ذكروا لغيرهما من جهة المشــاركة في النوع والجنس والفصــل، والأكل والشــرب وغير ذلك موجود لهما، والعلّة المانعة من اتباعهم لغيرهما من الأنبياء والحكماء إنّما هي تلك المعاني وتلك الأوصاف، وهي مشتركة بينهم وبينهما؛ فلا وجه لانقيادهم لهما وإنكارهم لسواهما، وهب أن أغانيمون[393] وهرمس كما ذكرتم، وينبغي بل يجب الاقتداء بهما دون باقي الأنبياء، إلا أنه قد تقادم عهدهما، واندرســـت سُنّتهما، وانقطعت التواريخ بيننا وبينهما.

---

[391] (ق) إرادتنا.

[392] (ق) محجوبون.

[393] (ق) أغاديثمون.

وأنتم اليوم أقل الناس عددًا، وأعجز الخليقة قدرةً عن ضـــبط التواريخ ونقل السُّـــنن وحفظها، فكيف تواترت[394] إليكم سُنّتهما إن ادَّعيتم التواتر؟، وكيف يمكنكم اتباعُهما إن لم تدَّعوا التواتر؟[395]

ألا إنكم دخلتم في الدين بغير برهان، واستبقيتموه[396] بغير بيان!

---

[394] (ق) توارت.

[395] (وكيف يمكنكم اتباعُهما إن لم تدَّعوا التواتر) سقطت من(ق).

[396] (ق) واستيقنتموه.

الأصل السادس: في الآراء الفلسفية

اعلم أنَّ الفلاسفة صنفان:

صنفٌ ينكرون النبوَّات، وصنفٌ يعظّمون النبوّات، فنُورِدُ رأيَ[397] كلِّ فريق في فصل.

الفصل الأول: في الفلاسفة الذين ينكرون النبوات

وهم براهمة الهند وحكماؤها ولهم أربع شُبُهات:

الشبهة الأولى: قالوا: الذي أتى به النبي: إما أن يكون معقولًا، فالعقل يستقِلُّ بإدراكه ولا حاجة إليه.

وإما ألّا يكون معقولًا، فالعقل لا يقبلُهُ ولا يلتفتُ إليه.

والجواب عنها:

قلنا: ليس معقولًا مطلقًا فيستقلُّ به العقلُ، ولا مجهولًا مطلقًا فيُعرِضُ عن قَبُولِه العقلُ،

لكنّه معقولٌ من وجهٍ ومجهولٌ من وجهٍ: فَمِنَ الوجهِ الأول لا يُنكِرُه العقل، ومن الوجه الثاني لا يستقلُّ به العقل.

الشبهة الثانية: قالوا: قد دلّت العقولُ على أنَّ الله حكيمٌ، والحكيمُ لا يتعبَّد العقلاءَ إلا بما دلّت عليه عقولُهم، وأدَّت إليه أفكارُهم، وقد دلَّت البراهينُ القطعيَّة والأَقْيِسةُ البرهانية على وجود الصانع الموصوف

---

(397) (ق) على رأي.

بصفات الجلال، ونعوت الكمال، وأنه قد أنعم على عباده نعمًا[398] يجبُ عليهم في عقولهم أن يقابلوها بالشكر فاستحقّوا الثوابَ إن فعلُوا، والعقابَ إن تركوا، وقد استَغْنَوْا عن النّبي.

والجوابُ عنها: قد اتَّفقتِ العقلاءُ على أنَّ حقيقتَه تعالى وتقدّس!، غيرُ معقولةٍ للبشـــر، فكيفَ يعلمون وجهَ التقرُّب إليه؟

عســانا[399] نقولُ أقوالًا ونفعَلُ أفعالًا ونتخيَّل أنها تقرِّبنا إليه وهي تُبعِدُنا منه، ســلَّمْنا أنَّ من الناس من يَعْلَم الحقَّ والخيرَ، ويعتقدُ الأولَ ويعملُ بالثاني، لكنَّ أكثرَ الناس يَعْجَزُون عن ذلك.

فالحاجةُ إلى النّبيِّ ضرُوريَّة.

الشبهة الثالثة:

قالوا: الباري حكيمٌ والحكيمُ لا يتعبَّد العقلاءَ بما يَقْبُحُ في عقولِهم، وأقبحُ ما يكونُ عند العقــل[400] توجُّه العاقِلِ إلى بيتٍ[401] من البُيُوت وحَجُّهُ إليه وإتيانُه بالمناســك من الطَّواف والسَّـعْيِ والرَّمْيِ، وتقبيلِ جَمَادٍ لا يسمعُ ولا يُبْصِرُ، وأفعالُه لأمورٍ يشهدُ صريحُ العقلِ بأنه لا فائدة فيه.

فلا فائدةَ عندَهم ولا نفعَ في مجيئهم.

---

[398] (ق) نعيمًا.

[399] (ق) إحسانًا.

[400] (ق) العاقل.

[401] (ق) بيتين.

والجواب عنها:

إنَّ عِلْمَكَ[402] بقُبْحِ هذه الأُمُور: إما أن يكون ضـــروريًّا، والعقلاءُ لا يختلفون في الضـــروريات، والذين يَرَوْنَ هذه الأمور أكثرُ من مُنكريها، فلا يكونُ علمك[403] بقبحها ضروريًا.

وإما أن يكون نظريًّا، ولو كان نظريًّا لذَكَرْتَ على دَعْواك شُـبْهةً، فضـلًا من أن يكون حُجَّة، فلا يكون علمُكَ بقبحها نظريًّا، وإذا بطل كلُّ واحدٍ من قِسْمَي الترديد بطل القولُ بقبح تلك الأمور، وأنـــت قد ذكرتَ في الشُّبْهة التالية لها أنَّ الأجسامَ والجواهــرَ لها خصائصُ وخواصُّ، فلِمَ لا يكونُ للحَجَر الأسودِ والبيتِ خصـائصُ وخواصُّ ينتفِعُ بها المقَبِّلُ والطائفُ، وهذه الأمورُ وإن كانت خفيَّةً عن الظُّنُون والأوهام فهي غيرُ خفيَّةٍ على من أنارَ اللهُ نفْسَه، وأعْلَمَهُ ما[404] لم نعْلَمْهُ[405].

الشبهة الرابعة:

قالوا: أكبرُ الكبائرِ في الرِّسـالةِ انقيادُ المرْءِ لمِثْلِه يتصرَّفُ فيه باختياره ويَصْرِفُهُ عن اختياره، ويستعملُه فيما يريدُ استعمالَ البهائمِ، فإن كان ذلك لمجرَّدِ قولِه وإنسانيَّته فالآمِرُ والمأمور فيهما ســـواءٌ، وإن كان لحُجَّةٍ يُدْلى[406] بها، ومعجزةٍ يُدِلُّ بها[407]، فعندنا جواهرُ وأجسامٌ لها خصائصُ وخواصُّ تُعجِزُ[408] أمثالَهم.

وأشخاصٌ يُخبِرون عن المغيَّباتِ لا يُساوون[409] أخبارَهم؟

---

[402] (ق) عملك.

[403] (ق) عملك.

[404] (ق) لما.

[405] (ق) يعلمه.

[406] (ق) يدلي.

[407] (ومعجزة يدل بها) سقطت من(ق).

[408] (ق) نعجز.

[409] (ق) يساون.

والجوابُ عنها:

قلنـــــا: أكبرُ الكبائرِ قولُك هذا[410] بعد اعترافِك أنَّ في الدنيـــــا آمِرًا ومأمورًا، ومالكًا ومملوكًا، وممالكَ ومُلُوكًا، لولا الاجتماعُ على واحدٍ في كلِّ قطرٍ، كما هو كذلك لفَسَـــدَ النّظَامُ وفاتَتِ المصـــالِحُ الدينية والدُّنياوية، فطاعةُ الخلقِ لملوك الدنيا واجبةٌ ولملوك الآخرة أوجَبُ.

وأما المعارضـــةُ المذكورة فاعلم أنَّ معجزةَ النبيِّ مقرونةٌ بالتحدِّي مختصَّـــةٌ به مصـــدِّقةٌ له، وكذلك إخبارُه بالغُيُوب، فلو فارَقَها التحدِّي وشارَكَه فيها مُشـــارِكٌ لخَرَجتْ عن كونها معجزاتٍ، وأما ما عندك وأخبارُ مَنْ عندَك فيشـــترِكُ فيها كلُّ مَنْ عَرَفَهُ ويتظاهرُ به كلُّ من أَلِفَهُ، وأخبارُ المخبِرين منهم إنما قُلْتَ: لا يُساوونَ[411] يعني: المخبِرونَ لا يُساوونَ أخبارَهم، لأنّكَ قد عرَفْتَ أسبابَ الأخبار، وأنها أمورٌ مُشْتَرَكة لعللٍ مُشْتَرَكة لا تُقرَنُ بالتّحدِّي ولا تقعُ موقِعَ مُصدِّقٍ، ثم خوارقُ الأنبيـــاء ومعجزاتُهم لا تختصُّ بمَوادَّ لها خصائصُ وخواصُّ، بل تصدرُ عنهم خوارقُ متقاربةٌ عن موادَّ متباعدةٍ، وخوارقُ متباعدةٌ عن موادَّ متقاربةٍ، يدُلُّك عليه الاستقراءُ والاستقصاءُ، فلم تَكُ تستنِدُ إلى ذواتِ الخصائِصِ والخواصِّ، وما عندك تختصُّ بموادَّ لها خصائصُ وخواصُّ[412] كما ذكرتَ في شُبْهتك.

فبَيْنَ ما عندك ومَنْ عندك وبينَ الأنبياءِ وما عندَهم من الفَرْقِ ما بينَ القَدَمِ والفَرْقِ، على أنَّ الخارِقَ المقرونَ بالتحدِّي يفيدُ علمًا ضروريًّا بِصدْقِ دَعْواه، والقدْحُ في الضروريَّاتِ قَدْحٌ في القَدْحِ.

---

[410] سقطت من(ق).

[411] (ق) لا يساون.

[412] (بل تصدر عنهم خوارق... وخواص) سقطت هذه الفقرة من (ق).

الفصل الثاني: في الفلاسفة الذين يعظمون النبوات

وهم طوائف وفرق.

والفلسفةُ الكاملة توجَد في اليونانيّين خاصَّةً، وإمامُ الجميع والمعلّمُ الأول والفيلسوفُ المطلق هو «أرسطاطاليس»[413]، وقد زيَّفَ كلَّ رأيٍ قبلَهُ يخالف رأيه من جميع الطَّوائف، ووافق رأيَه كلُّ مَنْ عاصَرَهُ، وأخذ الفلسفة عنه، وأكثرُ من جاء بعده من فلاسفة الإسلام وغيرِهم، فالكلامُ معه يغني عن الكلام مع غيره.

ومذهبُه: أنَّ العالَمَ كلَّه[414] حادثٌ بذاتِه ومعنى «الحدوث الذاتي»: الاستنادُ في الوجود إلى الغير، وكلُّهُ قديمٌ بالزَّمان، ومعنى «القدم الزماني»: أنه ليس لزمان وجودِه أول، والبـاري وحدَه قديمٌ بذاته، ومعنى «القدم الذاتي»: عدمُ الاستناد في الوجود إلى الغير، فوجودُه من ذاته بذاته، وأنه فاعلٌ بذاته، لا على أنه يَفْعلُ ما لم يكن، بل على أنَّ ما سواه به، وثباتَه بثباتِه.

وقال: واجبُ الوجود: واجبٌ وموجودٌ وجوهرٌ وممكنٌ بالإمكان العامِّ، وعالمٌ وحيٌّ ومُريدٌ ومَلِكٌ وغنيٌّ وجوادٌ وعقلٌ وعاقلٌ ومعقولٌ، وكلُّ هذه الأمور، وجميعُ هذه المعاني ترجعُ إلى شيءٍ واحدٍ، فلا عِلْمَ له ولا قدرة ولا إرادة، ولا حياةَ ولا كلام ولا سمع ولا بصر، وليس له شيءٌ من النُّعوت والصفات إلّا إن كان سلْبًا أو إضافةً، وهذا كلامٌ متهافتٌ ورأيٌ متفاوت، قد سَلَبَ عنه القصدَ والاختيار، وعرَّاهُ عن صفات الجلال، ونُعُوتِ الكمال ونفاهُ وأعدمَهُ.

---

[413] (ق) ارسطاليس.

[414] (ق) كلها.

وكيف ترجعُ تلك الأمورُ المتكثّرةُ والمعاني المتعدِّدة إلى شـيءٍ واحـد، ولو رجَعَتْ إليه لكان في معرفتِه معرفتُها وما كان يُحتاجُ في معرفة كلِّ واحدٍ واحدٍ إلى برهان منفصلٍ ودليلٍ مُستَأْنفٍ.

وأكثرُ من سلَكَ سبيلَ الإنصاف بيَّن تقصيرَه في جُلِّ ما بنى عليه مذهبَه من مسائل المبْدَأ والمعَاد.

أمّـا المبدأُ: فمثلُ قوله: «الواحدُ لا يصدر عنه إلا واحـدٌ»، وأقوى حججِه في ذلك: أنه لو صدر عنه اثنان لكان مفهومُ كونِه مصدرًا لهذا مغايرًا لمفهوم كونه مصـدرًا لذاك، فهذان المفهومـان: إما داخلان في ذات المصـدر وإما خارجان عنه، وإما أحدُهما داخـلٌ والآخَرُ خارجٌ، والأولُ والثالث باطـلان لِلُزومِ التركيب، لأنّ الداخلَ هو الجُزءُ المقَوِّمُ، وكلُّ ما له جُزْءٌ مقوِّمٌ فهو مُرَكّبٌ.

والثاني أيضًا باطلٌ، لأنّ اللوازمَ معلولاتُ الملْزُوماتِ ويعودُ الترديدُ ويَتَسلْسَلُ.

وعُورِضَ بالنُّقطة التي هي مركزُ الدائرة: فإنها مُحاذيةٌ لكلِّ نقطةٍ من نُقَطِ[415] المِنْطقةِ، وكونُها محاذيةً لنقطةٍ ما مُغايرٌ[416] لكونِها محاذيةٌ لنقطةٍ أخرى، فهذان المفهومان: إما داخلان في ذات النقطة وإما خارجان، وإما أحدُهما داخلٌ والآخرُ خارجٌ، والكلُّ مُحالٌ لِمَا تقدَّم، وكلُّ ما هو جوابُ الحكيمِ هاهنا فهو جوابُ المعارِض هناك.

ثم هذه المسألةُ على ضعفها، فرَّعَ عليها وجودَ المجرَّدات والأفلاكِ والكواكبِ والعناصر والمعدِنِ والنبات والحيوان، وبالجملة: كلُّ موجودٍ سوى الله تعالى، جوهرًا كان أو عرضًا مجرَّدًا عن المادة أو مقترنًا بها.

ويُناسبُها من مسائل المعاد تجريدُ النُّفوسِ عن الموادِّ وبُطلانِ تناسُخِها.

---

[415] (من نقط) سقطت من(ق).

[416] (ق) تغاير.

وشُـبُهاتُ القائلينَ بالتناسُـخ وشُـبُهاتُ القائلين بعدمه متقابلةٌ متمانِعةٌ، قد انفردَ كلُّ واحدٍ منهُما بأحدِ طَرَفَيِ النقيضِ، وحُجّة إبطال التناســخ موقوفةٌ على حُجّةِ حُدوثِ النَّفْسِ، وحُجّةُ حدوثِ النَّفْسِ موقوفةٌ على حُجّة إبطال التناسخ. وهذا كلُّه خَبْطٌ وهَذَيانٌ.

والمِعادُ عنده: عبارةٌ عن تجريد النُّفوس عن الموادِّ، والثوابُ والعقابُ يرجعانِ إلى الأمورِ المرتَسِمةِ فيها.

وهــذا كــلُّــه تحكُّم، فإنهــم يَعجَزون عن فَهْمِ هذه المحسُوسات فضلًا عن الدقائق، وبرهانُ ذلك أنَّ هذه الأشخاصَ: إن لم تكن معلُومةً فقد جَهِلْنا كلَّ شيءٍ.

وإن كانت معلومةً فمعلُوميَّتها إنما تكونُ بمَعْلوميَّة الأنواعِ التي الأشخاصُ عبارةٌ عنهـــا وعن العَوَارضِ التي اكْتَنفتْها، فتلك الأنواعُ إن لم نَعْلَمْها لم نَعْلَمْ هذه الأشخاصَ، وإن عَلِمْناها وعِلْمُنا بها:

إما[417] ضـــروريٌّ وهو ضـــروريُّ البُطلان، وإما نظريٌّ والنَّظرُ المؤدي إليها هي الحدودُ المسْــتوعِبةُ لجميع أجزائها، ومن أجزائها الأجناسُ العاليةُ البســيطةُ، وهي غيرُ معلومةٍ بالضـــرورة لأنهم رسَموها واختلفوا في رســومها[418]، وما هذا حالُه يمتَنِعُ أن يكون ضـــروريًّا، وغيرُ معلومةٍ بالنظر، لأنَّ المحيطَ بحقائِقِها إنّما هو الحدود التامَّة، ولا حدودَ لها، لا تامَّ ولا ناقصَ، فحقائقُ الأجناسِ العاليـة غيرُ معلومةٍ لنـا، وهـي أجـزاءٌ لِمَـــا تحتَها إلى الأشخاصِ، فهـــي وما تحتَها والأشخاصُ غيرُ معلومةٍ، إلّا أنّنا نفهمُ التَّشَـــخُّصَ ونفهمُ العوارضَ التي بها التشـخُّص، ونعلمُ أنَّ وراء الشَّـخصِ شـيئٌ آخرُ، أما ما ذلك الشـيءُ وما حقيقتُه فلا نعرِفُه.

---

(417) سقطت من(ق).

(418) (ق) رسْمِها.

فالعقلُ عاجز عن فَهْمِ الحقائقِ الكلّية والجُزئيَّة[419] ولوازِمها، فكيف نقدرُ على أمورٍ مجرَّدةٍ وأنوارٍ بريَّةٍ عن الموادِّ؟

وقد قال المتقدِّم فيهم، والمقدَّم عليهم أرسطو: «إننا لا ندركُ من أمر السّماء إلا جُزْءًا يسيرًا»، فإذا كان لا يُدرِكُ من أمر السّماء إلا جزءًا[420] يسيرًا والسماءُ محسوسٌ ومعقولٌ فكيف يحيطُ بالعلوم الإلهيّة وهي أدقُّ العلومِ وأخفاها، وكيف يهجمُ على جناب الحقِّ، وحضـــــــرة القُدْس بتلك الأحكام الواهية التي حكيناها عنه في صدر الفصْل؟

فأحكامُ العقل قاصرةٌ على أحوال الحياة الأولى، مُقَصِّرةٌ[421] عن فهم الحياةِ الثانية، والسّعادةِ الآتية، فلمْ يبقَ إلا الرجوعُ إلى الظُّهورِ النبويِّ والنُّورِ المحمَّديِّ، والله أعلم بخلقه.

---

[419] (ق) الجُزِيّة.

[420] (ب) جزوًا، (ق) جزًا.

[421] (ق) ومُقَصِّرةٌ.

الأصل السابع[422]
في الدَّهرية[423]

وهو فصل واحد.

قالوا: العالَمُ لم يزل كان هكذا، ولا يزال يكون هكذا:

رجلٌ من نطفة ونطفةٌ من رجلٍ، وحَبٌّ من نباتٍ ونباتٌ من حَبٍّ، وليلٌ بعد نهارٍ ونهارٌ بعد ليلٍ، ولا يزالُ له تجدُّدٌ وتصرُّمٌ على الاتصال أوَّلًا أوَّلًا، ولا حُجَّة لهم فنَتَعرَّضُ[424] لها بالنّفي أو[425] الإثبات، ولو كان لهم حُجَّةٌ لكانت إمّا عقليّة أو نقليَّة أو مركَّبةً منهما[426]: والأول باطلٌ[427]، لأنهم ينكرونَ المعقولات.

والثاني أيضًا باطلٌ، لأنّ النقل لا بُدَّ من رجوعِه إلى العقل[428]، لأنَّ إحدى مقدمات[429] تلكَ الحُجَّةِ كونُ ذلكَ النقلِ حُجّة، ولا يمكنُ إثباتُ النقلِ بالنقل فقط، لِلُزُومِ الدَّوْرِ أو التَّسلْسُل.

والثالثُ أيضًا باطلٌ، لأنّ الدّليل إذا كان مركَّبًا من معقولٍ ومنقولٍ، وأحدُ جُزْأي[430] المركَّب الذي هو المعقولُ غيرُ موجودٍ، فالدليلُ المركَّبُ من المعقولِ والمنقول غيرُ موجودٍ عند مَنْ يُنكِرُ المعقول، فصحَّ أنه لا حُجّةَ لهم، وعقولُهم ليست قابلةً للأدلَّة والحُجَجِ، فهُمْ والبهائمُ سواء.

---

[422] (ق) الفصل.

[423] (في الدهرية) سقطت من(ق).

[424] (ق) فيُتعرّضُ.

[425] (ق) و.

[426] (ق) منها.

[427] سقطت من(ق).

[428] (ق) الفعل.

[429] (ق) أحدَ مقامات.

[430] (ب) جزُؤي، (ق) جزء، وأثبتُّ الصحيح من حيث الكتابة.

الأصل الثامن: في السوفسطائية[431]

وهو آخِرُ الأصول، وهو فصلٌ واحدٌ.

اعلم أنَّ هذه الطائفةَ أرْدَى الطَّوائفِ، ومذهبَها أخبثُ المذاهب، ورأيَها أبعدُ الآراءِ عن الصَّواب.

وحالُها يُشْبِهُ حالَ البهائمِ، بل أرْدَى، فإنَّ البهائمَ تتَنازَعُ إلى أولادها، وتتَدافَعُ[432] عن أضدادِها، حمَلَها على التَّنازُعِ والتَّدافُعِ ثبوتُ الصَّداقةِ والعَداوةِ عندَها، فالحقائقُ الحِسّيَّةُ والأمورُ الوهميَّةُ ثابتةٌ عندَها وغيرُ ثابتةٍ عندَ هؤلاء، فصارت البهائمُ أرفعَ درجةً من هؤلاء.

وهذا البحثُ ذكرناهُ[433] مع الصَّابئة.

والذي حمَلَ هؤلاءِ على هذا الرَّأيِ الرديءِ، والمذهبِ الخبيثِ أنَّ من الناس مَنْ أنكرَ البديهيَّات، ومنهم من أنكَرَ[434] الحِسّيّات، ومنهم مَنْ أنكَرَ الوِجْدانيَّات، وهذه الأقسامُ الثلاثةُ هي أُصولُ[435] النَّظريَّات، فأيُّ عِلْمٍ من العُلُومِ النَّظريَّة إذا حصَلَ كان حُصولُهُ بعِلْمٍ من العلومِ الثلاثةِ المذكورة، فالطَّعْنُ في تلك الأمورِ طَعْنٌ في العُلومِ النَّظريَّةِ، لِوُجوبِ انتفاءِ المعلولِ عندَ انتفاءِ عِلَّتِهِ، وقد طُعِنَ في تلك، فَلَزِمَ الطَّعْنُ في العُلوم النَّظريَّة.

---

[431] (ق) السفططايه.

[432] (ق) ويتدافع.

[433] (ق) قد ذكرناه.

[434] (ومنهم من أنكَرَ) سقطت من(ق).

[435] (ق) أصول أصول.

والعِلْمُ لا يَخْرُجُ عن الأقســـام الأربعة، وقد طُعِنَ في الأقســـام الأربعة، فقد طُعِنَ في جُمْلةِ أقســـامِ العلومِ فانْتَفَتِ الحقائقُ بأسْرِها.

والكلامُ في العلوم الضَّروريَّةِ والنَّظريَّةِ مفروغٌ منه في مَوْضِعه، فلا نَشْتغِلُ[436] بالكلام فيه، وهم مَحْجوجُون بِنفْسِ دَعْواهُم، فـإنّـه إن لم يكن لإنكـارهم حقيقـةٌ، فمـا لا حقيقـةَ لـه لا يـدفَعُ الحقيقـة، وإن كـان إنكارِهم[437] حقيقةٌ فقد أثبتوا الحقيقة. وهذا آخِرُ الفصولِ، وخاتمةُ «الأصول»[438].

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين[439]

---

[436] (ق) تشتغل.

[437] (ق) إنكارهم.

[438] (وخاتمة الأصول) سقطت من (ق).

[439] **خاتمة النسـخة (ق)**: والسـلام، والحمد لله رب العالمين، وصـلى الله على سـيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين إلى جنات النعيم، وسـيد المرسـلين ورسـول رب العالمين وعلى آله وأصـحابه وأزواجه وأولاده وعترته الطاهرين، وسلّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد.

خاتمة

وأخيرًا في ختام هذه الدراسة، لابد من الإشارة إلى خلاصتها وأهم النتائج التي توصلت إليها، من خلال هذه الدراسة التي كان موضوعها الأساسي، نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، من خلال بيان ودراسة آراء وأقوال لأشهر وأهم الفرق والمذاهب الفكرية فيما يخص هذا الموضوع، ولنعلم:

أن موقف الإسلام من تلك المذاهب والفرق والأفكار، هو ما يقرره العقل السليم والشرع الحنيف، أثناء مناقشة هذه المذاهب والأفكار.

تبين لنا من هذه الدراسة الاهتمام البالغ للأصفهاني في مجادلة أهل الكتاب والملل الأخرى والرد عليهم، وقد وجدنا الأصفهاني لم يلجأ في مناقشة شيء من تلك المذاهب والأفكار إلى الاستشهاد بأي آية قرآنية أو حديث نبوي، أو نص ديني، إلا في موضعين أو ثلاثة، وقد ذكرها على سبيل الاستئناس لا الاستدلال، وما ذاك إلا ليبين لنا أن معتمده في نصرة الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام، إنما هو العلم الحقيقي فبدأ يناقش هذه المذاهب والأفكار بميزان العلم والقواعد العقلية التي يتفق فيها جميع عقلاء العالم، ويتحاكمون إليها.

إن هذا الكلام يدفعنا إلى التساؤل والتفكر، لماذا ضل أصحاب تلك المذاهب والأفكار ثم ثبتوا على ضلالهم وظلماتهم، دون أن تؤثر فيهم نداءات هذه الحقائق والأدلة العلمية والعقلية...

ترى ألم يكن من المفروض أن يكون لديهم من الثقافة والبصيرة العلمية ما يمكّنهم من الانتباه إلى كثير من الضلالات الفكرية والأفكار المنحرفة التي لا يقبلها إنسان ذو عقل سليم.

ألم يكن لديهم من العقلاء من يحتكمون إلى العلم الصحيح والقواعد العقلية السليمة التي ترفض الكثير من أفكارهم ومذاهبهم الباطلة؟

الجواب عن ذلك، بلى كان عندهم من العقلاء والمفكرين وأصحاب المذاهب والأديان من يعلم ذلك كله، والبعض منهم يستجيب للحق والعلم...ولكنه قليل بل نادر.

وتبين لنا أن سبب بقاء الكثير منهم على ضلاله وانحرافه ومعتقداته الباطلة يعود إلى سببين رئيسيين(الأول والثاني)، وأسباب أخرى:

ـ أولًا: اندفاعهم وتمسّكهم بمذاهبهم ومعتقداتهم الباطلة، يعود إلى الرغبة النفسية والمصالح الشخصية أو السياسية أكثر من البصيرة العلمية، حينذاك لا تنفع ضوابط العقل والفكر صاحبها، بل تسيّره رغباته وشهواته من غير ضوابط، فالشهوة العارمة أو الطمع أو الخوف قد (ينتج عنها عدم اتّزان فكري وأوهام باطلة، بهذه الأوهام يرى الرائي مالم ترَ عيناه ويسمع مالم تسمع أذناه، وقد يدرك ما ليس له حقيقة في الواقع)[440]

. ثانيًا: أن الكثير من أصحاب هذه المذاهب والتيارات الفكرية، أو أتباع الديانات المزورة والتي دخلها الضلال كثير من هؤلاء، لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث خارج محيطهم وأتباعهم...، لم يلتفتوا إلى مذاهب أخرى أو ديانة غير ديانتهم، بل قد يجرّمون من يقوم بذلك، لم يتفكروا خارج معتقداتهم وملذّاتهم وحياتهم الحيوانية، لم يتفكروا في هذا الكون تفكيرًا علميًا عقلانيًا صحيحًا، من الذي أوجد هذا الكون؟ كيف وُجد؟ من أين؟ ما البداية؟، وما النهاية؟ قال تعالى: ﴿يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾[441]،

ـــ ثالثًا: ضعف الإدراك مع التكبر والطغيان والغرور وكثير ما يصيب الغرور الذين حالفهم النجاح، والرؤساء والزعماء وأصحاب القوة، ومن لهم أنصار وأتباع ومحبون، وكذلك قد يصيب الغرور

---

[440]عبدالرحمن حسن حبنّكة، الميداني . **بصائر للمسلم المعاصر**. دار القلم . دمشق،2015م، ط:4، ص: 107.
[441] سورة الروم، الآية7

الجماعات كما يصيب الأفراد، كأصحاب حزب واحد جاهدوا وناضلوا...كذلك جماعة أو أسرة ذاع صيتها واشتهرت بمجد، أو شجاعة ...ونتذكر هنا قوله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوا﴾ [442]

ــــ رابعًا: التعصب لشخص أو قوم أو حزب أو جماعة أو لأفكار قديمة، فالمتعصب صاحب أنانية فردية أو جماعية، وهو يناصر من ينتمي إليهم أو إلى فكرهم ولو كان الحق في غيرهم، والتعصب موجود عند معظم الفرق والطوائف والمذاهب وأصحاب الأديان والتيارات الفكرية المختلفة.

. خامسًا: الأهواء والشهوات والمصالح الشخصية:

إن أهواء النفوس ومطامعها وشهواتها ومصالحها الخاصة تعمي بصيرة الإنسان وتصيبها بالعمى، فيرى الإنسان بسببها الحق باطلًا، والباطل حقًا، وتختلط عليه الأمور وتلتبس عليه الأفكار، فيُحجب ذهنه وفكره وحواسه عن الحقيقة التي تخالف شهواته ومطامعه.

ـ سادسًا: الحسد: كالحسد لمن يأمر بالحق أو يتبعه ولأجل الحسد لم يتبع كثير من أهل الكتاب دين الإسلام، ومنه قوله تعالى: ﴿ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾[443]

ـ سابعًا: التقليد الأعمى وهو ما قد ينشأ عن التعصب أو الثقة المفرطة لمن يقلده، فالذي يتبع ويقلد إمامه أو جماعته دون فكر وبصيرة يقع في كل خطأ يقع فيه إمامه وجماعته من غير قصد ومعرفة.

---

[442] سورة النمل، الآية14.

[443] سورة البقرة، الآية109.

ــــ ومنها أسباب أخرى عارضة وفرعية...وليس الجهل هو السبب الوحيد، ويكفي هنا أن نستحضر أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد كُذبوا وعُودوا ولا يوجد أبين منهم حجة، ولا أصبر منهم على الدعوة، ولا أصدق منهم في الناس خبرا.

ـ تبين لنا من خلال دراسة حياة الإمام الأصفهاني وشخصيته وكتبه، أنه كان على المذهب الأشعري يثبت الصفات ويتأول بعضها كالنزول والمجيء على غير معنى الانتقال.

كان يفر من التجسيم والتشبيه، كما مر معنا في ردّه على اليهود، ذكر فيه أنهم أصل التجسيم والتشبيه ومنهم انتقل إلى الأمم.

ــــ تبين لنا أهمية هذا الكتاب...كونه فريدًا في بابه خصوصًا في ذلك الزمن الذي كتبه فيه فهو يتحدث حول النبوات أحد أقسام العقيدة الإسلامية، وكذلك منهج المصنف فيه في محاورة أهل الكتاب وغيرهم ممن ذكرهم في كتابه، تارةً تجده يتلطف بهم، وتارةً يجادلهم بأسلوب عقلي يظهر فيه تناقضهم، وكما ذكرت سابقًا، لم يلجأ إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية إلا على سبيل الاستئناس والتأييد ولم يذكر ذلك إلا في موضعين اثنين في هذا الكتاب فقط.

ـ توسّع أولًا في هذا الكتاب بالاعتماد على النصوص التي فيها بشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم، في الكتب الإلهية، وقد أطال في هذا الموضوع وصرّح أنه ألّف هذا الكتاب لأجل هذا الغرض، وأثبت ما وقع في كتب أهل الكتاب من تحريف وتبديل.

والحمد لله الذي جعلنا من أمة خاتم النبيين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وجعلنا من أتباع هذا الدين العظيم والقرآن الكريم الذي حثّنا على التزام المنهج العلمي في البحث عن الحقيقة وعلى

التخلص من شـــوائب الأغراض والأهواء لنتجنب الوقوع في المتاهات الفكرية والتيارات المنحرفة والعقائد الضالة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ت: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثانية، 2009م.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، ت: عبد الحليم إبراهيم، دار الفكر العربي ـ القاهرة، 2009م.
- البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين، البابابي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- البغدادي، إسماعيل باشا، البابابي: هدية العارفين، محمد شرف الدين، ط: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،1951م.
- حاجي خليفة، كاتب جلبي، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه وطبعه محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999م.
- ابن المعلم القرشي، محمد بن محمد، نجم المهتدي ورجم المعتدي، ت: بلال السقا، دار التقوى ـ دمشق، ط: الأولى، 2019م.
- السنوسي، محمد بن يوسف، شرح العقيدة الوسطى، ت: أنس الشرفاوي، دار التقوى ـــ دمشق، ط: الأولى، 2019م.
- التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، ت: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: الأولى 1996م.

- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار إحياء التراث العربي، بيروت،2017م.
- الكيلاني، ماجد بن عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دار القلم ـ الإمارات العربية المتحدة، ط: الثالثة، 2002م.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، ت: د. رياض عبد الحميد ومحمد عبيد، طبعة خاصة بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر،2015م.
- الوزيري، محمد بن إبراهيم، الفتوحات الربانية في شرح الرسالة الرسلانية، ت: أحمد رجب أبو سالم، دار الفتح، عمان، ٢٠٢٠م.
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي ـ بيروت، ط: الأولى، 2003م.
- طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية، دار النفائس ـ بيروت، ط:1، 2011م.
- جمال الدين أبي المحاسن، يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1963م.
- السموأل، ابن يحيى، الحبر اليهودي المغربي: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ، تحقيق محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت د. ت.
- معجم المصطلحات الكلامية، زيادات واستدراكات إبراهيم رفاعة، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، 1436 هجري.
- أفندي، رمضان، حاشية رمضان أفندي على النسفية، مكتبة سيدا، ديار بكر، 2017م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، ت: أمير علي وعلي فاعور دار المعرفة، بيروت، 1993م.

- السقار، صهيب بن محمود ــــ التجسيم في الفكر الإسلامي، مكتبة آفاق للنشرـــــ الكويت، ط: الأولى، 2015م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ت: أحمد الزعبي، دار القلم، بيروت،2001م.
- أبو بكر البيهقي، أحمد بن الحسين، الأسماء والصفات، ت: عبد الله بن محمد، مكتبة السوادي، جدة1993م.
- البوطي، محمد سعيد بن ملا رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، دمشق، 1997م.
- الإســـــفرائيني التميمي، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ت: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، بيروت، 2013م.
- الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار السراج، اسطنبول، 2021م.
- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، دار إحياء التراث ـ بيروت، د.ت.
- سفر التكوين.
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ت: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
- سفر التثنية.
- إنجيل يوحنا.
- أبي داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ت: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م.
- التوراة: تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل ديب، دار النفائس.
- الميداني، عبد الرحمن بن حسن حبنّكة، بصائر للمسلم المعاصر. دار القلم ـ دمشق، 2015م.

- المالكي، محمد بن علوي، محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل، ت: أحمد بن محمد المالكي، دار السنابل، دمشق،2019م.
- الصاوي، أحمد بن محمد، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، ت: عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، 2014م.